روايات عبير

مأساة قلب

www.elromancia.com

مرمورية

No. 069

روايات عبير

مأساة قلب

ذات ليلة غاب فيها القمر .. قفزت (روبين) من فوق يخت المليونير الشيطان (كارلنج) ومعها عفتها وجواز السفر، وظلت تسبح حتى وصلت إلى مشارف جزيرة نائية، وهناك قابلت (آدم فاند)..ذلك الفنان الهارب هو الآخر من مأساته ايضاً.

استطاع آدم أن ينقذ روبين وينتشلها.. ثم أخذها إلى الكوخ الخاص به وتولاها بالرعاية والحماية .. حتى أنه لم يتردد فى أن يتزوجها ليحقق هذا الهدف . ومن ثم انتقل إليها هى الأخرى عبء انتشال زوجها من المأساة التى تؤرق حياته .. فما هى مأساة آدم، وهل نجحت روبين.. ؟

I.S.B.N. 977-376-186-X

9 789773 761868

W.Salama 0101517873

سوريا	٧٥ ل.س	البحرين	٧٥٠ فلس
مصر	٥ جنيه	قطر	٨ ريال
لبنان	٢٥٠٠ ل.ل	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	المغرب	١٥ درهم
السعودية	١٠ ريال	ليبيا	١٫٥ دينار
الكويت	٧٥٠ فلس	تونس	١٫٥ دينار
الإمارات	١٠ درهم	اليمن	٢٠٠ ريال

No. 069

روايات عبير

مأساة قلب

مارجري هيلتون

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

١ - الزائرة المجهولة

كانت جزيرة ألزينا ترقد ناعسة تحت السماء العميقة،واشعة الشمس الأخيرة تتخلل السحب القاتمة وتنشر اللون النارى فى الأفق الممتد فوق المحيط. ومن تلك المسافة البعيدة كانت المداخل الشماليه للمحيط الهادى تبدو ساكنة كالحرير، الا أن هدير الأمواج، تتكسر فوق الصخور عند مدخل الخليج المائى أثار انطباعا مفعما بالخطر، ارتسم على وجه الرجل الذى وقف ساكنا فى شرفة البيت المطل على الخليج، وهو يغلب مشاعر الغضب المعتملة فى نفسه.

ولم يكن هناك اسم معروف لهذا البيت المكون من أربعة جدران خشبية وسقف. وتحرك الرجل آخر الأمر، وانعكس الضوء الصادر

من النافذة الخلفية على المخطوطة البيضاء التى كان يحملها فى يده، وانحنى فوقها يعيد قراءة سطورها برغم انه حفظها عن ظهر قلب، وهى سطور تتسم بالاتساق و الجمال كاليد التى خطتها.

وفجأة طوى المخطوطة وألقى بها فوق النباتات المتسلقة المزينة بالزهور القرمزية، الزاحفة على سفح التل كبساط يضيق به المكان. وأشعل سيجارة بالولاعة التى أهدتها هى اليه، وأخذ الشرر التطاير من عينيه يعكس مدى عمق الاحساس بالاحباط الذى أصابه اذ حمل قارب البريد الأخير رسالة لستيفنز، الذى يعمل فى محطة الارصاد الجوية فى الجزيرة مما ذكره بعلاقته مع ستيلا فزم شفتيه بمرارة وهو لا يكاد يصدق.

اختفى قرص الشمس وبدأ الظلام يلف المحيط، وصمتت أصوات الطيور مع مغيب الشمس، وعادت الجزيرة الى وحدتها وعزلتها. وبدأ يألف شيئا فشيئا ليالى الوحدة المقتمة و يتقبلها. وفجأة لمح أضواء أحد اليخوت يخرج من المرفأ القائم وسط تجويف صخرى.

انها راحلة اذا! أطفأ سيجارته وقد تملكه شعور بالارتياح الغاضب وبينما هو يتأهب لدخول البيت، لمح شيئا أبيض يتحرك عند الخليج حفره المطر فأخذ يمعن النظر محاولا أن يخترق حجب الظلام، وظن أن ما راه، من صنع خياله، وأشعل سيجارة ثانية و هو فى حالة من التوتر.

ولمح ذلك الطيف الشاحب يتحرك من جديد عند الجانب

القريب من الارض التى تغطيها الشجيرات الصغيرة، و يقترب ببطء الى أعلى فى اتجاه البيت. فدخل بسرعة وأحضر كشافا و قد تيقن أن شخصا ما أو شيئا ما موجود أسفل البيت.

وشق طريقه بخطى واثقة، فقد اعتاد على المواقف الصعبة، وتوقف عند حافة الخليج و اخذ الكشاف الذى يحمله يحدث دوائر سريعة وسط الاشجار والنباتات، لكنه لم يعثر على شئ أو يلمح أيه حركة، وكاد الصمت يفقده صوابه وصاح فجأة:

«من هناك؟»

وكان صوت المد البحرى المندفع نحو الخليج هو الرد الوحيد الذى تلقاه، وراح يتفقد المكان حوله، اذ لا يمكنه أن يكون مخطئا فان شيئا ما تسلل الى هذا المكان.

وفجأة سمع صيحة كالانين فالتفت نحو الصوت الذى كان صادرا على ما يبدومن الجانب الاخر وعبر المياه الضحلة و تعثر أثناء ذلك فسقط وابتلت ملابسه، وما أن وصل حتى أطلق صيحة أخرى ينادى بها على صاحب الصوت، فرد عليه صوت يشبه صوت الغلام، فاتجه نحوه وسأله عن غرضه هنا، وطلب منه أن يظهر فقال له صاحب الصوت، بعدما حاول النهوض انه لا يستطيع لأن قدمه مصابة. فأمسك به وأحس بقشعريرة و هو يلمس جسمه، فسلط نحوه الكشاف ليتبين ملامحه، ففوجئ بأن هذا الوافد انما هو فتاه ترتدى فردة حذاء واحدة! فتاة تبدو كطفل صغير، أوهذا

هو ما تراءى له حينئذ.

وراح يبحث عن شئ يحمل فيه بعض الماء و لكنه لم يجد كما لم يكن معه غطاء للرأس يستخدمه فى هذا الغرض، فسارع يملأ كفيه بالماء وبلل رأسها فأستردت وعيها، وتحركت وأبعدت خصلات شعرها عن وجهها الذى بدا عليه القلق و قالت:

«فقدت حذائى على الشاطئ، أما حاجياتى الأخرى فقد...»

«لا تشغلى بالك بالتفسرات، هل يمكنك السير؟»

بمساعدة منه اتجها الى الممر المؤدى الى منزله، وعندئذ سألته:

«الى أين نحن ذاهبان؟ هل هذا...»

«لا أعتقد أنك فى وضع يسمح لك بتوجيه الأسئلة.»

«كلا، ولكن...»

وأدخلها الغرفة الرئيسية و أجلسلها على المقعد الوحيد، وأشعل الموقد بسرعة ووضع فوقه اناء ماء ثم اتجه نحو الفتاة الصغيرة المسترخية على المقعد و سألها:

«ما الذى بلل ملابسك؟»

«ماء البحر.»

ونظرت اليه فى قلق و قد بدا الخوف فى عينيها و أضافت:

«سبحت...»

فقاطعها قائلا:

وهل تسبحين عادة وأنت فى كامل ملابسك؟ لا تخافى وسوف أحضر لك ملاءة تسترين نفسك بها...»

فتجدد خوفها و دار بصرها فى أرجاء الغرفة ثم نظرت اليه قائلة:

«كلا، لا اهمية لذ لك سأصبح على ما يرام خلال دقيقة واحدة»

واخذ يتأملها فى برود، ولمح بقعا حمراء على كم قميصها الابيض، ونظر الى قدمها الحافيه و الرسغ الصاب، وذهب بالقرب من الموقد وقال لها:

« هيا، استريحى، ولا تقلقى، سأعد مشروبا ساخنا. وأدار ظهره وانشغل باعداد المشروب و تقطيع السمكة التى اصطادها فى الصباح، وبعدما أضاف اليه بعضا من مسحوق الحساء الى السمكة فى الوعاء، أحضر وعاء نظيفا و وضع فيه بعض الماء، وأضاف اليه كمية من مادة مطهرة واتجه الى ضيفته سمحت له بأن ينظف الجلطة التى أصيبت بها و أن يضمدها بضمادة لاصقة وقالت له بسرعة:

«سوف أتولى أنا بنفسى أمر قدمى.»

فترك وعاء الماء الى جوارها، وقام فى هدوء بعدما ابتسم لها بود، وسارع لا نقاذ السمكة قبل أن تحترق، وأعد قدحا من الشاى قدمه للفتاة بعدما أضاف اليه قليلا من الليمون و قال لها:

«هيا أشربيه كله، فأنت تبدين كالشبح.»

www.elromancia.com

وعندما رآها تتردد فى اكمال شرب الشاى، قال لها:

«أشربى، ولكن لا أريدك أن تحضرى الى هنا مرة أخرى.»

فردت عليه و مازال لونها شاحبا، وقالت:

«لا تقلق لن أعود لزيارتك مرة أخرى، وحالما تجف ملابسى سأترك فى سلام.»

فرد عليها فى سخرية و هو يسكب الحساء فى اناء، وقال:

«والى أين أنت ذاهبة؟ ومن أين أتيت؟»

«ذاهبة الى القرية، كنت فى طريقى اليها عندما دفعت بى امواج المد وأجبرتنى على النزول هنا... و أصبيت قدمى... ورأيت ضوء الكشاف الذى كنت تحمله وعندئذ...»

فصاح بها فى دهشة:

«كنت ذاهبة الى الطرف الاخر من الجزيرة؟ لا افهم؟ هل كنت تسبحين؟»

فهزت رأسها قائلة:

«استغرقت حوالى ساعتين فى السباحة، لقد كان التيار عنيفا وكنت...»

وأخذ الشك يساوره فيما تقول وصمم أن يعرف الحقيقة و قال لها:

«هل أمضيت ساعتين فى الماء؟ اننى لا أصدق هذا، أخبرينى

الحقيقة، فأنت تعلمين تماما أنه لا توجد هنا أية قرى.»

بدا عليها الخوف من جديد و قالت:

«ألا توجد أية قرى هنا؟ ولكن هناك بعض القرى فعلا، رأيتها، هناك أبنية و ساحة كبيرة بجوارها، ولا يمكن أن يكون هذا سوى فندق، وهذا ما جعلنى...»

فقاطعها فى برود قائلا:

«انها محطة للرصد الجوى، وهى قاعدة أمريكية، ولا يوجد هنا أى فندق أو قرية، وأنت تعرفين ذلك كما أعرفه، والآن عليك أن تنطقى بالحقيقة.»

فنظرت اليه قد شعرت بصدمة، وقالت وأصابعها ترتعد بصورة أوشكت معها أن تدلق الشاى:

«لا يوجد أى فندق؟ ولكن لا بد أن يكون هناك فندق... لا بد أن يكون هناك فندق.»

وأصيبت فجأة بانهيار، وأخذت شفتاها ترتعشان وهى تغالب دموعها، وأصابتها حالة من اليأس جعلتها تتلمس أى شئ يطمئنها بأنها لم تقع فريسة لكابوس، وأخذت تتمتم قائلة:

«يا ألهى! ما الذى فعلته؟»

وأخذ يحدق فيها للحظات طوال وهو منزعج، و يشعر، بأنه مقدم على مأساة.

أنها تعانى من ورطة كما أنها تعانى من التعب والانهاك. ولو صح أنها ظلت فى الماء لمدة ساعتين- وهو لا يستطيع الآن أن يجد تفسيرا آخر لظهورها المفاجئ، أمام بيته - فانه لأمر غريب أنها مازالت على قيد الحياة. ولا بد أن تكون جاءت من ذلك اليخت، ولكن كيف؟

هل سقطت منه؟ كلا فهذا تكفير مضحك، ولكن لو كان ذلك قد حدث لكانت غرقت وسط الأنواء وهذا اليخت ليس لعبة ، فهو سفينة حديثة عابرة للمحيطات، ومزودة بأحدث الأجهزة ولها قاربها الخاص الذى يسير بمحرك، ومن يملك هذا اليخت لا بد أن يكون من طبقة أرستقراطية عريقة فى الثراء، أو أحد أثرياء النفط.

وسيطرت عليه حالة من الثورة العنيفة عندما أخذت تلك الصورالذهنية تعذبه و تبعث فيه ميلا شديدا لكراهية النساء اللواتى يتصفن بخيانة الوعد لمجرد الرغبة فى التدمير، وامتلأت نفسه بغضب جامح ضد الفتاة التى اقتحمت عليه مأواه، وكيف دفعت بها الأقدار فى طريقه؟ انها تذكره بالمرأة التى ظنها تنتظره حتى يأخذ مكانه فى الحياة من جديد، وتضمد جراحه بحبها ...

ونهض وتقدم خطوة واحدة و أخذ فنجان الشاى من يد الفتاة المرتعشة وقال لها:

«استحلفك بالله أن تفضى الى بحقيقة الأمر؟ ومن أنت ؟ ولماذا جئت الى هذا المكان؟»

٢- إقامة إجبارية

أخذت آهة مرتعشة تسرى فى أوصال الفتاة بينما الدفء يعود الى شفتيها المرتعدتين المتعبتين بعدما رشفت قدح الشاى، ولكن هذا لم يشعرها بالراحة الكاملة لانها، وان كانت تعتقد أن كابوس البحر انقضى، بدأت الآن تواجه كابوسا آخر.

دفعها السكون المخيم داخل المنزل المعتم الى التزام المزيد من الحذر، وتملكها انطباعات مضطربة وهى تتفقد الغرفة حيث تجلس، فهى مبنية من جذوع الشجر، موائدها عارية من أية أغطية، وأرضها تكسوها السجاجيد البالية، وليس فيها سوى مصباح مكشوف لا يكاد يصل ضوءه الى أركان الغرفه الغارقه فى الظلال .

www.elromancia.com

انها غرفة فسيحة، ولكنها تختلف عن أى غرفة أخرى فى أى مسكن عرفته فى حياتها، فالجدران والارضيه من الخشب الطبيعة، والموقد لونه رمادى وغيرجميل، والنافذتان عاريتان من غير ستائر، وتحت احداهما مكتب كبير تجمعت فوقه مجموعة من المجلدات الضخمة، وبعض الدوريات العلمية وزوج من نظارات الميدان و أكوام من الأشياء الأخرى التى تستخدم فى الدراسة.

لكن الغرفة وما فيها تضاءلت أمام القوة الطاغية للرجل الذى اجتذب انتباهها، طوله ستة أقدام على الاقل و جسمه متناسق، وقسمات وجهه حادة، وفمه ينم عن حس بدنى كامن قد ينطلق من عقاله فى لحظات الانفعال العاطفى، ولكنه يبدو الآن مشدوداً و متوترا وليست فيه أى ملامح ودية، ذقنه حادة وله شعر كثيف فاحم، وجبهة عريضة وبشرة برونزية تشير الى أنه أمضى فترة طويلة من الزمن فى العراء تحت أشعة الشمس. وترك أزرار قميصه مفتوحة فى أهمال واضح.

ووضع قدح الشاى على المائدة بعنف بجوارالطعام الذى لم يبدو أنه سوف يؤكل...

وهمست قائلة:

«اسمى روبينا واين ولكن أصدقائى يطلقون على اسم روبين وانا...»

فقاطعها فى برود حاد لم تتوقعه وقال لها بصوت غير ودى

وبتعبير كله أشمئزاز:

«اين هم أصدقاؤك الآن؟ وكم هو الذى أتوقع قدومه الى هنا اثر انتهائهم من ممارسة رياضة السباحة بعد منتصف الليل!»

فردت عليه فى برود:

«ليس لى أصدقاء.»

وبدت نظرة الشك فى عينه ما تبقى لها من قدره على المجادلة وأطرقت برأسها وهى تقول:

«ليس لى الآن أصدقاء، ولاأعتقد أنه سبق أن كان لى أصدقاء.»

فحدق فيها وسألها:

«ألن تتناولى طعامك؟»

«لا أعتقد أننى أستطيع تناول شئ من الطعام الآن.»

فهز كتفيه قائلاً:

«هل يضايقك أن أتناول أنا الطعام؟»

«طبعا لا، آسفة لأننى عطلتك عن تناول عشائك.»

فأخذ مقعدا وجلس الى المائدة المصنوعة من البلاستك وأمسك بسكين ثم وضعها على المائدة مرة أخرى وراح يرمقها. فنظرت اليه وقالت له:

«تناول طعامك، فما يجب أن أكون هنا، ولولا أصابة رسغى كنت الان فى محطة الرصد الجوى أو فى أى مكان آخر.»

فرد عليها بجفاف قائلا:

«كانوا سيرحبون بك فى هذه المحطة بكل تأكيد.»

وقالت لنفسها فى مرارة: «سيستقبلونها بأفضل من استقباله لها». وأحست باحمرار وجهها وهو يرمقها بنظرة حادة، وقال لها بجفاف وكأنه قرأ أفكارها:

«ان كان استقبالهم لك سيلقى استحسانك أكثر من استقبالى، فهذه مسألة أخرى.»

ولم تكن هناك صعوبه فى فهم ما يعنيه،فلزمت الصمت،وأخذت نظراتها تدور فى أرجاء المكان حيث يعيش هذا الرجل الغريب. وقال لها وهو يتابع اتجاه نظرها:

«ألا يحسن بك أن تبدأى فى تناول الطعام، وأن تروى لى القصة من بدايتها؟»

فحولت بصرها عن دفتر المقطوعات الموسيقية والتمثال النصفى العاجى لشخصية اعتقدت أنها كانت يجب أن تعرفها، ووضعت طبق الطعام فوق ركبتها ، وبعد أن تناولت شيئا منه قالت فى بطء:

«ليس هناك الكثير اقوله، وكل ما هناك أننى أضطررت الى

ترك ذلك اليخت.»

«لماذا؟»

ردت عليه فى ضجر:

«أشك فى أنك سوف تفهم ما أقول.»

قدم لها كعكة مغطاة بالزبدة، وسكب مزيدا من الشاى فى كوبها وقال لها:

«لأننى لست امرأه؟ استمرى فى تناول طعامك؟ فالخبز لذيذ؟ لديهم فى محطة الرصد الجوى طاه يزودنى بالكعك و البسكويت، وأقوم أنا باعداد باقى الطعام...اعتقد أن هناك رجلا وراء ما حدث لك.. صحيح..؟

«وما الذى يجعلك تفكر هكذا؟»

ورد عليها قائلا:

«لأنه عندما تقوم المرأة بتصرف طائش كالفرار من و السباحة ليلا الى الشاطئ، يمكن المراهنة أن هناك رجلا وراء لك.»

«نعم كان هناك رجل، وأرجو ألا أراه مرة أخرى فى حياتى.»

«أهو مالك اليخت؟»

«نعم، انه المالك، وهو يمتلك أسطولا من السفن التجارية، وجيشا من الخدم. انه فى الستين من عمره تقريبا، وهو أنيق يبدو

كملاك ولكن له قلب شيطان، وقد اعتقد أنه يمتلكنى.»

«وما الذى جعلك تغيرين رأيك؟»

فرمقته بنظرة حادة و قالت:

«لم أغير رأيى، ماذا تقصد؟»

«ابتسم ابتسامة ساخرة و قال لها:

«لا بد أنك صعدت الى اليخت بمحض ارادتك. فرجل غنى كالذى أشرت اليه يمكنه أن يغرى عددا غير محدود من النساء.»

«كنت أعمل، ولم يكن أمامى مجال كبير للخيار.»

ولاحظت تعبير الاشمئزاز الذى بدا للحظة على وجهه.. فأضافت بسرعة:

«أقام حفلا على ظهر اليخت، حضره حوالى ثلاثين شخصا، وكان أخوه و زوجة أخيه بين المدعوين ومعهما ابنتهما، التى كان عمرها اذ ذاك احدى عشرة سنة وكنت رفيقتها و خادمتها فى آن واحد.»

«انها لتبدو طريقة منطقية للسفر حول العالم و الحصول على أجر، أكملى قصتك.»

«سبرينا ليست طفلة سيئة، أفسدها التدليل طبعا، و كانت مهمتى الترفيه عنها وابعادها عن الحياة الفاسدة.»

قال بلهجة حادة:

«أعتقد أن مهمتك كانت منعها من مشاهدة أشياء يجب ألا تشاهدها!»

فلوت روبين شفتيها فى مرارة وهى تتذكر تفاصيل ما حدث، وأضافت قائلة:

«لم أتبين ذلك الا فى الليلة التالية لا بحار اليخت، عندما أقيم حفل تنكرى وكان الشئ الذى دهشت له عندما حذرتنى سبرينا يوما ما، ان أتجنب عمها، وقد كان تجنبه أمرا مستحيلا. وكانت معه نسخ من المفاتيح لجميع غرف اليخت.»

وتوقفت عن الكلام وهى تشعر بقلبها يسرع فى دقاته بينما أخذت تحكى قصة الكابوس الذى فاجأها تلك الليلة، وأحست بالخجل الشديد لأنها تورطت فى الادلاء بتلك الاعترفات، ونظرت الى أعلى فى حين قال لها الرجل الجالس الى المائدة فى هدوء:

«وهل استخدم المفتاح؟»

«دفعته بأقصى ما أملك من قوة، وفررت منه لأختبئ فى غرفة سبرينا التى لم أغادرها طوال اليوم التالى. وكنت أعلم أننا سنبحر الى هذه الجزيرة بسبب ما فيها من الطيور، أليس كذلك؟ وقررت أن أتسلل من اليخت وأنزل الى الشاطئ وأختبئ الى أن يرحل اليخت مرة أخرى عن الجزيرة. ولكن كارلنغ على ما أعتقد،

توقع ذلك فلم تتح لى أى فرصة لتنفيذ ما عقدت العزم عليه، فانتظرت المساء، وقبل العشاء، أبلغت الجميع بأننى أعانى من صداع حاد وأننى سأذهب لأتناول أقراصا منومة، وعندما سمعتهم يدخلون قاعة الطعام، أسرعت بأخذ جواز سفرى و قليلا من النقود و بعض الملابس و حزمتها داخل قماش مشمع واق من الماء، ثم قفزت من اليخت أسبح وكلى أمل ألا يلمحنى أحد، وعندما وصلت الى الشاطئ كان الظلام مخيما، ومكثت هناك الى أن شاهدت اليخت يبحر مع موجات المد كما كان مقررا وما حدث بعد ذلك تعرفه.

وظل صامتا فترة طويلة كان قد أنصت اليها وهى تروى قصتها، ثم قال لها فى برود:

«اخترت بلا شك بقعة تفرين اليها، فماذا أنت فاعلة الآن؟»

«لم أفكر فى هذا بعد، وكل ما كان يشغلنى هو الفرار من ذلك اليخت اللعين، ثم مواصلة طريقى الى فانكوفر أو سان فرنسيسكو أو حتى هونولولو، وكنت سألوذ بأى قارب يصل أولا، ألسنا بالقرب من الطرق الملاحية الكبرى؟»

أبلغها أنها تبعد كثيرا عن مجموعة جزر هاواى. قالت له ان لديها من المال ما يكفى لسفرها الى الولايات المتحدة و هناك يمكنها أن تعمل لتغطية نفقات عودتها الى الوطن فهى تعرف فتاة تدعى سارة استطاعت أن تعمل وتوفر لنفسها نفقات طوافها حول

العالم. فوقف وأخرج علبة السجائر ولا حظ أنها تنظر الى العلبة بفضول فسألها ان كانت تدخن فقالت له ان السجائر أبتلت وطلبت منه فى رجاء ان يعطيها بعض السجائر لتدخن. ثم قال لها أنه سيعد لها سريرا لتمضى الليلة فيه. فاعتذرت له عن البقاء هناك وقالت له أن ملابسها جفت الآن، وانها تركت حاجتها على الشاطئ. فرد عليها بأنها تستطيع أن تبيت فى غرفتها ما لم تكن تفضل المبيت على الشاطئ الى جوار حاجاتها، وقال لها لا داعى لان تقلق فلا يوجد سوى مفتاح واحد لهذا الكوخ، وانه يرحب بها فيه، وسوف يبيت هو نفسه على سرير للرحلات ينصب داخل غرفة تحميض الافلام.

ثم قادها الى الغرفة وقال انه يأسف لعدم وجود زر لكهرباء فوق السرير، و طلب منها ألا تسقط المصباح الذى أعده فقالت له انها ستحرص على ألا تشعل له حريقا فى البيت.

واخذت فى حب استطلاع الى الغرفة التى تشبه صومعة راهب، وكل ما فيها يوحى بالتقشف: السرير و الصندوق الذى وضع فوقه مصباح الزيت، والكرسى الوحيد عدا أن الستائر أو السجاجيد معدومة و قال لها:

«لديك هنا بطانيه سوفيه أضافيه ان أحتجت اليها، الا أن ليس باردا، وانما أنت تشعرين الآن بالبرد بسبب فترة السباحة الطويلة والارهاق وسوف أتركك الآن اذا لم تكونى فى حاجة الى شئ آخر.»

وتردد قليلا ثم أشار الى السرير قائلا :

«وضعت لكى بعض الملابس لترتديها، وهى تكون واسعة قليلا، ولكن ليس من حق الفارين أن يختاروا.»

فنظرت الى البيجاما الموضوعة فوق الوسادة وقالت له:

«أشعر بانني لا جثة ولست هاربة، وأبديت عطفا شديدا نحوى، ولا أعرف كيف أشكرك.»

«لا تحاولى فانا لست عطوفا، ولم يكن أمامى من خيار أخر.»

فقالت له وقد استبد بها شعور شديد بالملل:

«أسفة لما سببته لك من ازعاج يا سيد...»

وتذكرت أنها لا تعرف أسمه فقال لها:

«أدم غرانت»

ثم اتجه الى باب الغرفة وأضاف:

«تصبحين على خير يا روبينا واين.»

«بل روبين، تصبح على خير وأشكرك.»

«وأغلق الباب بهدوء، وراحت تسائل نفسها عما يكون عليه الوقت الآن لقد توقفت ساعتها ولا توجد ساعة ولا توجد ساعة حائط معلقة فى البيت ولكن ما أهمية ذلك؟

واحضرت مرآة من صندوق الملابس لتنظر الى ملامحها المتوترة ووجهها الخالى من الاصباغ وشعرها غير المنسق وأحست بان شعرها لن يعود الى سابق عهده ،اذ ليس لديها مشط لكى تصففه، كما أن الملابس التى لديها لن تكون فى مظهر ملائم بعد أن تجف...

وضحكت وهى تتذكر أن ليس لديها سوى فردة حذاء واحدة، وستكون محظوظة ان هى عثرت فى الصباح على حاجياتها التى تركتها على الشاطئ، والتى تضم جواز سفرها و بعض النقود والملابس التى كانت تعزم ارتداءها عندما تصل الى الشاطئ. وتساءلت اذا كانت ستجد حاجياتها كما هى بدون أن يكون الشريط الاصق الذى لفت به القماش المشمع قد انفك، ما الذى دفعها الى تلك الحماقة؟ لا بد أنها أصيبت بجنون!

وأحست بحاجة إلى النوم، اذ سرعان ما يأتى الصباح ولا بد وأن تجد معه وسيلة للخروج من ورطتها. وأمسكت بالبيجاما التى قدمها لها آدم، فوجدتها جديدة تماما ومصنوعة من قماش ناعم من الحرير الخالص.

وعندما غلبها النعاس رأت فى منامها أنها مازالت فوق اليخت، وأن كل من فيه غادره، وأثناء بحثها عن سبرينا داهمت اليخت عاصفة وبدأ يغرق، ولا أحد يستجيب لصراخها، وفجأة هدأت العاصفة و حملها ادم غرانت الى بر الامان واستسلمت لذراعيه شاكرة، وبعد ذلك ظهر أمامها وجه كارلنغ الشيطانى وهو يحاول

www.liilas-romancia.com

أنتزاعها، واستيقظت من نومها وهى تصرخ وتحاول انقاذ نفسها من بين يديه.

ونظرت الى شجيرة المشمش القريبة من النافذة، وأخذت تحملق فى جدران الغرفة الخشبية وهى تتطلع الى ما يطمئنها ويهدئ من روعها، وأدركت أنها كانت من كابوس مزعج. ودق غرانت الباب مستأذنا فى الدخول ليقدم اليها الشاى، وفوجئت بأنه أحضر لها حاجياتها التى تركتها على الشاطئ، وأحست بحرج نحو هذا الرجل الذى قال لها انه عثر أيضا على فردة حذائها الاخرى. واستأذنها فى الذهاب لضخ الماء فى الخزان وتغذية المولد الكهربائى بالبترول وقال لها أنه لن يغيب كثيرا و سألته:

«قبل أن تذهب، أود أن أعرف ما اذا كان هناك حمام؟»

«أننى أسف لأنه كان يجب أن أرشدك الى مكانه فى الليلة الماضية، انه فى خارج المنزل وله سقف أبيض، وكونى على حذر فى استعماله حتى لا يغرقك.»

وابتسم وتركها وهى تشكره ثم قفزت من السرير لتتفقد أشياءها، فوجدت ملابسها قد ابتلت، ما عدا النقود وجواز السفر.

وأخذت ملابسها الجافة وذهبت تأخذ حمام، وأدركت أن نصيحة غرانت لها بأن تلزم الحذر كانت فى موضعها، لانها أخذت تدير العجلة التى تتحكم بالماء ببطء وحذر الى أن أمتلا الحوض الذى كان منعشا وفى حالة جيدة وصافية.

أن عليها اعداد قائمة بالاشياء الكثيرة التى تحتاجها عندما تتاح لها الظروف لاعادة تنظيم حياتها،انها تستشيط غضبا عندما تتذكر الاشياء التى تركتها وراءها فى اليخت، ولكن لم يكن أمامها من سبيل أخر. كان الموقف بالغ الخطورة حتى بدون أن تحاول حمل الاشياء الصغيرة التى ربطتها حول وسطها قبل أن تسبح الى الشاطئ. ولم يكن فى استطاعتها شراء السجائر، وان كان مجال الاختيار أمامها محدودا.

وعادت الى المنزل، تسرع بترتيب الفراش، وهندمت نفسها، ثم توجهت فى تردد نحو الباب الرئيسى وهى لاتدرى أن آدم غرانت موجود فى الداخل، ودفعت الباب ببطء فانفتح، ونظرت الى داخل الغرفة وسمعته يقول لها:

«حسنا يمكنك الدخول.»

ورأته يقطع بعض شرائح اللحم من المقلاة، فسألت بينها وبين نفسها عن مفاجأة طعام الافطار الذى ينتظرها، وسألته اذا كان فى أمكانها أن تساعده فطلب منها اعداد المائدة وقال لها انها ستجد كل شئ فى الخزانة. ولاحظت المعلبات الكثيرة المصفوفة فوق الرفوف فقالت له:

«أعددت العدة لنفسك كاملة تماما كأنك مقدم على فترة حصار طويلة.»

«لابد من أتخذ الاحتياجات اللازمة، هل تفضلين القهوة؟»

وأشعل الموقد لتقوم هى نفسها بأعداد القهوة، ولاحظت أنه استطاع أن ينظم حياته فى نطاق التسهلات التى لم تكن فقط محدودة جدا، وأنما بدائية جدا على نحو لا يطيقه الا أولئك الرحالة الذين اعتادو العيش فى الخيام واستمعت اليه بدون تعقيب وهو يقول لها انه يحصل من محطة الرصد الجوى على أطعمة سريعة التلف وهم يحفظونها فى ثلاجات ضخمة، ولكنها لم تدرك الا بعد مضى فترة مغزى وجود قدور اللبن والشاى الصغيرة التى لديه، وصفائح المواد المنظفة والصفائح الكبيرة التى تحتوى على سكر والسلع الجافة الاخرى .

وبمضى الوقت بدأت عملية أعداد الافطار تتحسن، وبدأت هى تعتاد الاحساس بضبط النفس الذى مازال قويا بينها وبين الرجل الذى هب لأنقاذها ليلة أمس .وطلبت منه سيجارة فأعطاها علبة سجائره كلها، فشكرته وقالت له وهى تبتسم:

«أعرف أننى ضيفتك غير المدعوة ، ولكننى أطمع فى المزيد من كرمك،وأطلب منك ان تمد فترة أقامتى فى بيتك لمدة ساعة اخرى او نحو ذلك.»

«فرفع حاجبه وظل صامتا، فأضافت قائلة:

«أريد أن أغسل ملابسى وأصفف شعرى، ألا يوجد لديك أى نوع من وسائل غسل الشعر؟»

فرد عليها بجفاف:

«كلا لا يوجد لدى شئ من هذا القبيل، ولكنك تستطعين استخدام أى شئ موجود فى البيت.»

وعندئذ بدأ بدأ اطمئنانها يتذبذب، ولكنها حاولت أن تحتفظ برباطة جأشها، وقالت له:

«أنك تراني الآن فى أسوأ مظهر لى، ولكنى فعلت ما لم يفعله أحد من قبل.»

فنهض قائلا:

«على أن أخرج الآن، وسوف تتاح لك ساعة تقريبا تعودين خلالها الى أحسن مظهر.»

وركب سيارة جيب وأنطلق بها من خلف المسكن. وراحت روبين تبحث عن اجابة لعدة أسئلة جالت فى خاطرها. هل هو أحد علماء الطيور؟ ان جزيرة الزينا هذه فيها الطيور النادرة التى اتخذت أعشاشها لأول مرة بدون أن يتمكن أحد من تفسير سبب أو كيفية مجيئها الى هنا. سمعت الاخرين يتحدثون عنها، الا أنها لم تعر ذلك التفاتا، ثم تذكرت ما حدث بعد ظهر أمس عندما عاد ريمون مارش وزمرته الصغيرة من الغزوة التى قاموا بها على الشاطئ وهم فى غضب شديد. وقع حادث ما، واستطاع رجل قوى جرئ أن يطردهم من الجزيرة. وبدأت الاحداث تفسر بعضها البعض فى ذاكرتها لتفسر لها الملاحظة الساخرة التى أبداها غرانت مساء عندما عندما سألها عن مكان أصدقائها. لا بد أن يكون آدم هو ذلك

وابتسمت روبين فى ابتهاج فتوهج وجهها بالضياء، وتمنت لو أنها رأت ذلك المشهد لتلمس التعبيرات التى ارتسمت على وجه ريمون وزمرته من المتملقين الأذلاء. وتملكتها فجأة رغبة جارفة فى أن تبلغ آدم غرانت الى أى مدى ارتفع فى نظرها.... وذلك برغم أنه يميل الى النظر اليها كواحدة من من أفراد تلك المجموعه الغوغائية.

وقامت روبين بأعداد حبل لنشر ملابسها بعدما غسلتها بالسائل المنظف الذى استعارته منه، وسرعان ما جفت بفعل الهواء الدافئ المشمش، وقامت بتنظيف مكان تناول الافطار وتنظيف مكان تناول الافطار و تنظيم غرفة الجلوس لتصبح فى مثل فى مثل بهاء الغرف القائمة على سطح اليخت.

ثم ذهبت لجمع ملابسها الجافة، ونظرت الى نفسها وهى تنتظر جفاف ملابسها وأشفقت على نفسها وانهمرت دموعها وهى تتمنى أن تغمض عينيها وتفتحهما من جديد لترى أن ستة أشهر من حياتها قد محيت، وأصبحت كأنها لم تكن.

وسمعت صوت سيارة تتوقف و ينزل منها رجل، كانت شابا أزرق العينين أخذ ينظر منها رجل كان شابا أزرق العينين أخذ ينظر الى هيئتها الجذابة فى دهشة وابتهاج، وقال لها:

«اذا فأنت هنا... لم أصدق عندما علمت بهذا!»

وتقدم خطوة الى الامام ومد يده ليصافحها وهو يقول لها:

«أنا تونى ستيفنز، هل ما أراه حقيقى هل أنت انسان حقيقى؟»

فاتجهت اليه وصافحته وقد لا حظت احمرار خديه وسألته:

«هل تعمل فى هذا المكان؟ السيد غرانت سيعود فى اى لخظة.»

«كلا، أعمل فى محطة الرصد الجوى فى وسط الجزيرة، وعلى ان أعود وأرد على تلك الرسالة...»

وسألته فى حدة:

«أية رسالة تقصد؟»

«رسالة أنك هنا، تسببت فى حدوث هياج شديد... أعتقد أنك روبينا... الآنسة واين...ابنة...»

فامتقع لونها وتوترت ملامحها فأضاف بسرعة:

«أنا شديد الأسف،الآأكون لبقا معك، ابلغتك فقط بما جاء فى الرسالة وأسف جدا لما سببته لك من ازعاج.»

ولم تكترث روبين بما سببته لها عدم لباقته من ايذاء، كان صبيا لايزيد عمره عن عشرين عاما، وسألته مرة أخرى:

«أية رسالة تقصد؟ لابد أن خطأ ما قد، لا أعرف أحد يمكنه أن يبعث لى برسالة.»

وقبل أن يبدأ فى الشرح أحست بغصة فى صدرها وهى تتوجس

خيفة من الامر. وقال لها:

«تلقينا رسالة باللاسلكى من السيد، كارلنغ انهم قلقون جدا عليك، ولا يعرفون كيف تخلفت عن اليخت ، أو ما اذا كنت موجودة فى الجزيرة أم لا، اكتشفوا صباح اليوم غيابك عن اليخت،لا بد أن أعود الآن.»

وأسرع بالقفز فى سيارة الجيب الصفراء، وانطلق بها بدون أن يتمكن من سماع صياحها وهى تطلب منها التوقف، وترجوه ألا يبلغ اليخت بأنها موجودة هنا. فهى لا تريد العودة الى اليخت. واختفى بسرعة وسط أشجار الغابة وقد أدركت أنه لا جدوى من اللحاق به. وهدأت نفسها وبدأت تفكر فيما يجب عليها أن تفعله الآن. جيرالد كارلنغ سيستشيط غضبا و يشعر بأن كبرياءه جرحت لأنها هربت منه.

وتخيلت ما سوف ينزل بها من عقاب من عقاب بعد أن يحضر كارلنغ و يتسلمها بابتسامته الساخرة ليعيدها الى اليخت. و ربما لا يفعل هذا بل يتركها تهيم على وجهها فى الجزيرة. انها تأمل ألا يفعل، ولكن ترك الامر للاقدار فيه مخاطر هائلة. وتمنت لو أنها تمكنت من أيقاف تونى ستيفنز قبل أن ينطلق بسيارته. ورأت عندئذ سيارة جيب تبرز من وسط الاشجار وتتجه الى البيت.

ان الفرصة لم تفت بعد، وأن على أدم غرانت أن ينقلها الى المحطة لتشرح لهم الموقف، وتطلب منهم الغاء الرد على الرسالة

والقول بانه حدث خطأ أو شئ من هذا القبيل. وسألها آدم غرانت:

«ما الذى يزعجك؟»

«أرجوك أن تأخذنى الى محطة الرصد حتى...»

فقال لها

«اهدأى وقولى لى ماذا حدث، انك مضطربة.»

فردت عليه وهى تلتقط أنفاسها:

«لابد أنك قابلت سيارته فى الطريق»

كانت تحاول أن تقنعه بأن الامر عاجل، وقالت له:

«أرجوك أن تفهم، أن الأمر سيستغرق وقتا طويلا لأشرح لك السبب، ولكننى لاأرغب فى العودة، وقد بعثوا برسالة لاسلكية الى محطة الارصاد لكى...»

«ولكن ألا تدرين، أيتها الحمقاء الصغيرة، أنه يجب عليك ابلاغهم بأنك فى أمان، أم أنك تعبأين بهذا؟ وأذا لم تعودى اليهم فالى أين تذهبين؟ انك لا تستطعين البقاء هنا.»

«لا أريد البقاء هنا، وليست لى رغبة فى هذا، ولكننى لن أعود الى هذا اليخت، ولا يهمنى الى أين أذهب أوأين أقيم ما دمت بعيدة بقدر المستطاع عن جيرالد كارلنغ.»

وهى تبدى أستياءها قالت:

«انك لا تعبأ، كما أن أحدا لا يهتم...»

ونظر اليها وهو يقول:

«حسنا فهمت قصدك، وأن كنت لا أعرف القصة كلها الا أننى فهمت جوهر الموضوع ستبقين هنا.»

«ولكننى...»

«سوف أعالج الامر، أعدى لنفسك شرابا والزمى الهدوء، ولن أغيب طويلا.»

ووقف ترقب السيارة التى استقلها أدم عرانت الى أن اختفت وهى تعد الدقائق التى كانت تمر وكأنها ساعات ووسط مشاعر القلق الشديد التى استبدت بها عاد أدم غرانت.

وكان وجهه متجهما وقلقا وقال لها ان اليخت الكيرون يقف على مسافة عشرة أميال تقريبا من الجزيرة، وانه وصل الى المحطة بينما كان ستيفز يرسل بالرد على الرسالة.

فسألته وهى تلتقط أنفاسها:

«ماذا حدث، أكمل.»

«تحدثت الى كارلنغ.»

«ماذا قال لك؟ وماذا قلت له؟»

فنظر اليها ادم وقال:

«القصة التى رواها لى تختلف عن القصة التى رويتها لى بالامس. ولكننى أدركت أنك سببت له قدرا كبيرا من القلق والضيق... اننى فى دهشة... هل أنت الطفلة الصغيرة التى أشفق عليها؟ طفلة روبيرت واين الممول الذى أنتحر منذ ستة أشهر»

فأسترخت فى مقعدها وأخذت تنظر فى تجهم وقالت:

«نعم، انك تفضل ان تصدق رجلا أخر، أليس كذلك؟ ولكن ابى لم يتخلص من حياته، كان حادثا عرضيا، فقد تناول أقراص منومة بعد ليلة عمل مرهقة وأدى ذلك الى وفاته،واياك أن تقول هذه عن ابى مرة أخرى.»

قالت ذلك وهى تصيح فى وجهه بتحد وأضافت:

«وبالنسبة الى كنت مدللة، ولكننى لم أكن متهورة الى حد البحث عن رجل مثل كارلنغ.»

«وكان صديقا لأبيك، فلماذا يسعى أذا لاغوائك؟»

«لم يكن صديقا للأبى.»

«بل يقول أنه كان كذلك، ولذلك اعتقد أن قيامك برحلة بحرية سوف يخرجك من المأساة الذى تعيشين فيه. والعمل الذى أسنده اليك لمرافقة سبرينا كان مجرد وسيلة لأرضاء كبريائك، وقال أيضا انه قدم لك هدايا عديدة ثمينة من المجوهرات.»

«هذا غير صحيح أراد فعلا أن يقدم لى مجوهرات، وقد تحليت

بقطعة منها فى أحدى المرات، ولكننى تركت كل شئ على ظهر اليخت. كانت هناك صله عمل تربطه بأبى، وعن طريق تلك الصلة حصلت على الذى كنت فى أشد الحاجة اليه.»

«أليس هناك أحد من أسرتك على قيد الحياة؟»

«ماتت أمى، وليس لى سوى أخت، أقمت معها، وهى متزوجة منذ سنين الا أن زواجها يتداعى، ولم أستطع تحمل المشجرات بين الزوجين اللذين أخذ كل منهما يشكو لى الأخر، مما جعلنى أكاد أجن، فكان ألتحاقى بهذا العمل على اليخت هوالحل المناسب.»

ونظرت اليه فوجدته يضغط شفتيه فصاحت فيه:

«ألن تقول لى انك آسف؟ وتذكر لى كل الملاحظات التافهة المبتذلة التى تفوهوا بها عنى، ثم تتركنى أمارس حياتى بأفضل ما أستطيع؟»

«كلا، اننى لن أتعاطف معك، فهذا هو ما فررت أنت منه، وبالاضافة الى هذا فأنت تشعرين الآن بالأسف الشديد لما أنت فيه من حال.»

ونهضت وسارت بضع خطوات الى النافذة وقالت:

«ربما كان هذا هو العزاء الوحيد أمامى الآن، انك لم تبلغنى بعد بما قلته لكارلنغ أعتقد أنك ستكون ممتنا له لو حضر وأخذنى من عندك بأسرع وقت ممكن.»

«كلا، لم أفعل هذا.»

«برغم أنك صدقته؟»

واقترب حاجباها من بعضهما البعض وهى ترمقه وقالت له:

«اذا لابد أن تصدق أحدنا.»

فأجابها بأنه انتهى من ذلك فعلا، وقال لها ان كارلنغ معروف بمباذله وانغماسه فى الملذات. فسألته اذا كان يعرفه، فقال لها انه سمع عنه، وعندما طلبت منه أن يخبرها بما قاله لكارلنغ تنهد بأسى وقال :

«قلت له ان الفتاه التى تبحث عنها ليست فى الجزيرة على ما أعلم، ونصحته بألا يضيع المزيد من وقته و يقلق نفسه من أجل فتاه صغيرة حمقاء. وحذرته أنه فى حالة نزوله الى الجزيرة سوف نتعامل معه ونعيده الى وطنه على أول قارب يغادر الجزيرة.»

ونظر اليها فى برود وسألها:

«أليس هذا هو ما كنت تريدين منى أن أقوله؟»

«نعم»

وقال لها آدم فى هدوء

«كنت أعرف النتيجة، اذ أخذ كارلنغ يضحك، ووافقنى على رأيى. وعليك أن تعرفى الآن أن هذه هى اللغة التى يفهمها.»

أحست فجأة بالملل وقالت له وهى ترمقه:

«طبعا، رجل فى مواجهة رجل، كان عطفا منك أن تهتم بمشكلتى اننى ممتنة جدا لك.»

وصمت لحظة ثم ابتسم بسخرية وقال:

«أهتم؟ كم هى هى كلمة مهذبة وتقليدية، لاتشغلى بالك على أى حال، تمت تسوية المشكلة الأولى على الأقل.»

فقالت له فى حدة:

«أتقول المشكلة الأولى؟ تمت تسوية المشكلة الوحيدة فيما يخصنى أنا، حالة التمزق انتهت وهى على وشك أن تنتهى عندما أتمكن من شراء تذكرة السفر.»

وقامت تجمع الملابس التى جفت على الحبل، وردت اليه شاكرة تلك الملابس التى أعارها اياها، فأخذها منها وهو يهز رأسه وقال:

«لم تتم تسوية المشكلة كلها بعد يمكنك شراء تذكرة للسفر على أول سفينة تغادر الجزيرة، ولكن سيتحتم عليك الانتظار لفترة طويلة لان السفينه التالية له لن تصل قبل مضى أثنى عشر أسبوعا.»

«اثنا عشر أسبوعا!؟ أتعنى أننى سأظل ضائعة فى الجزيرة لمدة اثنى عشر أسبوعا، أى أقل من ثلاثة أشهر؟ يحسن بنا الآن أن نتناول القهوة هل رأيت لهناك اذا أشياء أخرى لم تتم تسويتها، وهذه هى البداية فقط.»

٣- الحل الوحيد

يا للضياع! فى أرض غريبة بدون مال أو وسيلة للرحيل! تلك هى الابعاد الكاملة لورطتها كما بدت واضحة اخر الأمر. جلست روبين وقد انحنى ظهرها وشعرت أنها تضاءلت أمام نفسها وكان ادراكها لهذه الابعاد سببا فى اصابتها بوعكة فى المعدة. أصبحت ضائعة ليس فقط لفترة تبدو كالأبدية وفى جزيرة ألزينا التى يبلغ عدد سكانها جميعا عشرة أفراد فقط وحيث لا توجد أية محلات أو فنادق أو أى مكان يمكنها أن تقيم فيه خلال فترة الإقامة الإجبارية هذه ولكنها وقعت أيضا فى مشكلة لا تعرف مداها، ولا يبدو أن لها حلا بسبب المساعدة التى طلبتها من رجل غريب .

www.elromancia.com

وفوجئت به وهو يقول:

«أعتقد انه يحسن بنا الخروج لنمشى، فقد يساعدنا هذا على التفكير.»

وتركته يقودها خلال الممر الوعر حتى الشاطئ، حيث أنقذها منذ ساعات قليلة، تبدو لها الان كأنها زمن بعيد.

وقال لها فى بطء:

«لم يكن أمامى من بديل سوى أن أتظاهر بأنى مرتبط بك، اذ كانت تلك هى الوسيلة الوحيدة لأقنع أفراد طاقم المحطة بأن هناك سوء فهم قد حدث، وأنك لست الفتاة التى يبحث عنها كارلنغ، ومازلت غيرمأكد من اقتناعهم فعلا، الا أن هذا الوضع يتفق مع ما يعرفونه من أن لى خطيبة.»

فقالت فى تململ:

«يالهى، كم يبدو هذا رائعا! فأنا لست فقط ضائعة، وانما اصبحت خطيبة شخص أخر، ماذا أنا فاعلة؟»

«لا أعتقد أن باستطاعتك أن تفعلى شيئا، فأنت هنا وعليك تحقيق أكبر فائدة من هذا الوضع.»

فصاحت قائلة:

«نعم، ولكن كما يبدو، لاتدرى معنى هذا، أن أعيش لمدة ثلاثة أشهر أوفر لنفسى فيها الطعام والمأوى، كما أننى بحاجة الى

ملابسى وليس فى حوزتى أى شئ تقريبا. وعلى أن أشترى تلك الأشياء، تلك الاشياء، وان أوفر مبلغا لشراء تذكرة لتلك السفينة عندما تصل، وعلى بعد ذلك أن أعود الى انجلترا.»

وانهارت وقد غلبتها الدموع، وهى تصيح:

«يالعنة، سأظل أيضا كالمشلولة العاجزة.»

وهزها فجأة وأدارها لتصبح فى مواجهته وقال لها:

«انصتى الى، لا فائدة من الغضب والسباب، تعالى اجلسى وهدئى من روعك.»

ورافقها على طول الشاطئ الى كتلة خشبية مغروسة فى الرمال فى مكان يرتفع عن مستوى موجات المد والجزر. وقدم لها سيجاره واشعل لنفسه أخرى ثم قال:

«المال لن يفيد فى هذه الحال، فلو أن كارلنغ هذا بكل ما لديه من ملايين الجنيهات، كان جالسا هنا على الشاطئ وليس معه اليخت الخاص به، فانه ما كان ليفترق عنك بالمرة، ولأصبح محتما عليه أن ينتظر السفينة التى ترحل به مثلما تفعلين أنت تماما.»

ردت عليه فى يأس:

«ولكننى لا أستطيع البقاء هنا لمدة ثلاثة أشهر.»

«ليس أمامك مجال للاختيار.»

أحبت البحر دائما وأحبت وحدة الشاطئ المهجور حيث الحركة الوحيدة تصدر من البحر، والصوت الوحيد أغنية البحر وأصوات الطيور التى تحوم فوقه. وبينما هى تراقب الامواج سألت أدم:

«من غيرك يعيش فى الجزيرة بخلاف أفراد طاقم المحطة؟»

«هل سمعت عن هودريك و ولف؟»

«ذلك الفيلسوف، أم أنه شخص أخر؟»

«هو نفسه، يعيش فى شمال الجزيرة على بعد نصف ميل تقريبا من المحطة ويقيم فى فيلا عبارة عن لسان أرضى داخل فى البحر، أصبحت المنطقة حولها تشبه حظيرة حيوانات، ويعيش معه مرافق مشاكس ومفسد، وأعتقد أنهما لن يرحبا بك.»

«لم أكن لأطلب منهما ذلك.»

فهز كتفيه بعدم اكثرات وقال لها:

«أحذرك، فمجال الاختيار أمامك محدود، ويقيم فى الجزيرة أيضا شخص يشبه ألئك البيض الذين يتسكعون فى جزر المحيط الهادى. وهو يدعى غيفون .

أصيب فى الحرب الماضية واستقر أخيرا هنا، وهو يهوى صيد السمك والتسكع لغير ما غاية أو هدف، ويعامله أفراد طاقم المحطة معاملة طيبة جدا.»

«ألا يستطيع أحد أن يفعل له شيئا؟»

«وكيف؟»

بأن يساعده أو يعالجه بالصورة الواجبة فى مثل حالته تلك.»

«لن يقبل هذا، وهو يريد أن يتركه الناس وحده فى سلام، فهو سعيد تماما بحياته.»

فردت عليه فى عبوس:

«نعم، ولكن لابد أن يفعل أحد ما شيئا لاعادته الى وطنه وأهله.»

فقال لها آدم فى حدة:

«ليس ثمة انسان يمكن أن يقوم بشئ من هذا القبيل، هل ترحبين أنت الآن بأى تدخل فى شؤونك؟ ماذا تفعلين لو جاء أحد ما وحاول انتزاعك من الحياة التى تحبينها الآن؟»

«الامر يختلف، فأنا أعرف ماذا أفعل.»

«وهو الشئ نفسه بالنسبة اليه، وليس هناك اى فرق.»

«كلا ربما يكون هناك فرق.»

وأضافت تقول بلهجة لاذعة:

«ولكننى لا أستطيع البقاء هنا، أى الاقامة معك لمدة ثلاثة أشهر.»

«انه المجال الوحيد المتاح أمامك للاختيار، شئت أم أبيت، فأنا الشخص الوحيد الذى يمكنه أن يهئ لك المأوى، ويهئ لك أيضا

عملا بسيطا حتى يمكنك توفير ما لديك الآن من مال فسوف يفيدك فيما بعد.»

وسألته وهى لا تعرف ما اذا كان جادا فعلا:

«وأى نوع من العمل أؤديه؟»

«اننى فى حاجة الى من يساعدنى فى اعداد الافلام وتدوين البيانات.»

«ولكننى لا أفهم شيئا من مبادئ التصوير الفوتوغرافى.»

« يمكنك أن تتعلمى ذلك.»

«نعم، ولكن هذا مستحيل، ولا يمكنك أن تكون جادا.»

وأخذت تنظر اليه وهى تتلمس ما يقنعها وقالت له:

«أعلم أنك تبذل جهدك لمساعدتى ولكن... ما الذى ستقوله خطيبتك لاشك جال هذا الهاجس فى خاطرك.»

فقطب جنبه وقال لها:

«كانت لى خطيبة، ولكنها أصبحت الآن فى خبر كان.»

أخذت الافكار اليائسة تدور فى رأسها وهى لا تجد حلا لمشكلتها، فالى أين تذهب؟ وفجأة لمعت أمام عينيها فكرة مثل الضوء يغشى البصر، فقالت لآدم وهى تشعر كأنها أنتصرت:

«محطة الارصاد يمكنها أن تبعث برسالة لاسلكية الى أى جهة

لكى تنتشلنى من الجزيرة.»

«أسف، ألا تظنين أننى كنت سأقترح ذلك لو كان مجديا، لا يمكن استدعاء سفينة تبعد مئات الاميال عن هذا المكان الا فى الحالات الطارئة.»

«ولكن هذه الحالة طارئة؟»

«كلا، انها ليست مسألة حياة أو موت.»

من لهجته الحاسمة أدركت انه صادق فعلا فيما يقول. فالمحنة التى وقعت فيها لا تتوفر فيها الشروط التى تجعل منها حالة طارئة، كما أنها غادرت يخت كارلنغ بمحض ارادتها.

ووقف آدم غرانت قائلا لها أن أمامها وقتاً طويلا لتقتنع بالفكرة، وعليها أن تكف عن المعارضة، وسألها اذا كانت تستطيع طهو طعام الغداء الذى حان وقته. فقالت فى تردد:

«لا أعرف، نعم أعتقد أننى أستطيع...»

«أتوقع منك أن تصبحى مفيدة.»

ولم يكن أمامها سوى اطاعة ما يأمرها به، كما ام يكن أمامها أى بديل أخر للاقتراح الذى ذكره لها آدم غرانت. ولم يكن هناك أى سبب للاعتقاد بأن غرانت كذب عليها فيما يتعلق بالخدمات المتاحة فى الجزيرة كما أنه لا يمكن أن يكون قد تطلع اليها كرفيقه تعيش معه كى يستمتع بصحبتها.

www.elromancia.com

وذهب لاعداد الطعام، لكنها عندما لاحظت نظراته الاذعة اختارت أهون الطرق، وفتحت أحدى علب اللحم المحفوظ وقامت بقلى اللحم فى الزبد، وفتحت علبة فاكهة محفوظة وأخذت تراقبه أثناء تناول الطعام، وضايقها أنه لم يصدر عنه أى تعقيب حتى تهب للدفاع عن نفسها.

بينما أخذ يضحك قائلا لها لا شك كانت طفلة مدللة، وأنها سوف تتحسن بمزيد من التدريب، فقالت له:

«هذا اذا كنت سأمكث هنا لأتدرب.»

فقال لها انها ستمكث هنا. وطلب منها أن تخرج بعد الظهر لتستكشف المنطقة المحيطة بالبيت. وأشار عليها بان تسير قرب الشاطئ وألا تسلك الطرق المؤدية الى أعلى التل، ويمكنها أن تصل الى المحطة بعد حوالى ميل ونصف الميل. وقال انه لو كان لديها المزيد من النشاط فيمكنها أن تصعد الى المنطقة التى يقيم فيها وولف. وأضاف قائلا:

«سوف أرافقك لمشاهدة الملاذ الذى تأوى اليه الطيور، فالطريق بعيد وشديد الوعورة، لا يمكنك الذهاب إليه وحدك بأى حال سيرا على الاقدام.»

وخرج آدم غرانت بدون أن يذكر لها شيئا عن المكان الذى ينوى التوجه إليه، وبدأت الافكار اليائسة تتملكها من جديد. انه رجل غامض يخفى فى صدره سرا ما برغم من انه من جانب أخر يميل

الى الدعابة وله روح مرحة. وفجأة قررت الموافقة على اقتراحه والخروج للتعرف على الجزيرة.

ها هى الشمس ساطعة و الهواء المنتعش يلطف من درجة حرارة الجو. وبعد قليل اختفى المنزل عن بصرها، ولاحظت الطرق الملتوية المؤديه الى المنزل، كذلك الطريق الذى يختفى وسط أشجار الغابة ثم يعود الى الظهور من جديد.

واتخذت من أشجار البلوط معالم تسترشد بها حتى وصلت الى بداية الخليج برماله الصفراء، ثم أخذت السحب المقبلة من الغرب تتجمع، وبدأ البحر يكتسب اللون الرمادى.

وفى تلك اللحظة بدأ المطر يتساقط ثم ينهمر بشدة، فاحتمت روبين تحت الاشجار، ولكن مياه الامطار الناجمة عن عاصفة شبة استوائية بللتها تماما، ولم تكن معها أية سترة أو رداء يقيها المطر، وعندما بدأت السماء تبرق وترعد اضطرت الى الخروج من وسط الاشجار، وأخذت تعدو فى العراء فى طريق العودة.

وفجأة سمعت صوتا يناديها، فالتفتت لتجده تونى ستيفنز يسرع نحوها وهو يلوح بيده، ولحق بها وهو يقول لها:

«لا يمكنك أن تشقى طريقك عائدة الى البيت فى مثل هذه الجو.»

وخلع معطفه الواقى من المطر ووضعه على كتفيها غير عابئ،

باحتجاجها وقال لها:

«رأيتك تهبطين من الفيلا، وحاولت أن ألفت انتباهك ولكنك كنت على مسافة بعيدة منى ...أين آدم؟»

فهزت كتفيها وقالت له أنها خرجت وحدها تستكشف الجزيرة، وحكتله عن الرجل العجوز الذى لمحته داخل الفيلا ولم يأبهبها. وصحبها تونى الى مبنى أبيض مواجه للشاطئ مباشرة ودعاها للدخول لتناول مشروب، وفى الداخل وجدت قاعة كبيرة مليئة بالموائد والكراسى وفجأة وجدت نفسها محاطة بمجموعة من الرجال، فأخذ تونى المعطف عن كتفيها وقال لهؤلاء الرجال:

«ارجعوا فأنا الذى وجدتها»

وطلب أحدهم من بقية الرجال أن يذهب كل منهم لشأنه، فلاذوا بالصمت وأحست روبين بأن هذا الرجل ذو شخصية قوية وله سلطة عليهم.انه لا يطاول عرانت فى قامته ولكنه عريض المنكبين وله عينان زرقاوان وفم عريض، ويبلغ من العمر أربعين عاما تقريبا. ابتسم لها ومد يده لمصافحتها قائلا انه يدعى مارك ثورنتون، وأحست بالاعجاب نحوه فهو يتصرف بطريقة انسانية، وهو الشخص الوحيد الذى يمكنها التحدث اليه فى هذا العالم.

ودعا ثورتون أحد العاملين فى المبنى لأحضار رداء ترتديه روبين ريثما يتم غسل ملابسها وتجفيفها. وجاء الرداء فى مقاس جسمها. وأثناء انتظار غسل ملابسها توثقت علاقتها بثورتون، لدرجة أنها

أصبحت تناديه مارك وأحست أنها تعرفه منذ وقت بعيد. حدثها قليلا عن نظام العمل فى محطة الرصد، وأخبرها بأن أمه كانت أنجلزية، وأنه زار أنجلترا لأول مرة العام السابق وعندما ذكر لها أن أمه عاشت فى البلدة الصغيرة التى ولدت فيها أم روبين، بدا كأنه اكتشاف لعلاقة ظلت مفقودة طويلة.

وقال لها:

«لو علمنا بأنك ستحضرين للحاق بآدم لأعددنا برنامجا لأستقبالك.»

وأشار الى أن الشاب هوارد لديه قيثارة يعزف عليها، وأبتسم وقال انه مغتبط لأنها قررت المجئ من أجل صالحها وصالح آدم فليس من الملائم أن يعزل انسان نفسه. واضاف قائلا انه مازال يعتقد أن جزيرة ألزينا هى أخر مكان كان يجب أن يقع اختيار آدم عليه، برغم ذلك فانه يتمنى لهما اقامة طيبة فى الجزيرة.

وقال لها مارك «ان ألزينا أصبحت تشبه صومعة الناسك، كما أنها ملاذ تأوى اليه الطيور. وفى امكانك الحضور الى هذا المكان فى أى وقت أنت وآدم اذا ما شعرتما بالملل، كما أن فى استطاعتك المجئ للحصول على اى شئ تحتاجان اليه.»

فشكرته كثيرا وقالت له:

«عندما أنتهى من اعادة تنظيم البيت يمكنكم الحضور لتناول

طعام العشاء معنا، ولكن عليكم إحضار المقعد معكم.»

«وسأحضر طعام العشاء أيضا ان كنت...»

وتوقف مارك عن الكلام عندما فتح الباب ودخل منه آدم غرانت الذى رمق روبين بسرعة، وقال لها:

«توقعت مجيئك الى هذا المكان.»

ووجه آدم التحية الى مارك ثم سأله اذا كانت لديه قطارة لان أحد الطيور أصب اصابة طفيفة، فنادى مارك على هوارد وطلب منه احضار قطارة من المخازن الطبية. ونهضت روبين فى تراخ وكأنها لاتريد ترك تلك الصحبة اللطيفة، ولاحظت أن ملابسها تم احضارها بعد تنظيفها وكيها وتذكرت الرداء الذى اعاره مارك لها، ولكن مارك قال لها:

«لا تشغلى بالك بهذا، فالرداء مناسب لك ويبدو متناسقا ومقاسه مضبوط عليك وأتساءل لماذا لا يبدو هذا الرداء بمثل هذا الجمال عندما يلبسه هوارد صاحب الرداء؟»

واستمتعت روبين بنظرة الاعجاب التى أبداها مارك نحوها، ولكن آدم لم يبتسم لدعابة مارك، كما لم يبتسم عندما أضاف مارك قائلا لروبين:

«لا داعى لا عادة الرداء. سوف تحتاجين اليه فى اعداد طعام العشاء!»

وبعد مضى دقيقة تقريبا كانت روبين تجلس بجوار آدم فى سيارة الجيب وهى تحمل ملابسها فوق ذراعها، وتمسك بيدها لفافة صغيرة فيها قطارات طبية للعين. ونظرت الى آدم قائلة:

«داهمتنى العاصفة.»

«وحدث لى الشئ نفسه.»

وأخذت السيارة تهتز بعنف وهى تشق طريقها.

«اننى أفزع من العواصف، كما لم أخذ معى سترة أو أى شئ من هذا القبيل.»

«علمت بهذا.»

فضمت روبين شفتيها وقد أحست بأن آدم يشعر بأنها بدأت تميل الى مارك وقالت له فى تحد:

«أنا معجبة بمارك، فله شخصية جذابة.»

«شعرت بهذا، ولكن للاسف فهو متزوج وله طفلان، كما أنه يكبرك بعشرين سنة.»

فردت عليه فى غضب:

«كيف تجرؤ على هذا القول؟ لم أتعرف عليه الا من نصف ساعة، كيف تفكر بهذه العقلية؟»

«اننى أفكر بعقلية منطقية تستطيع ادراك ما هو أبعد من طرف

أنفى.»

«وبأى حق تفعل...»

«سوف نتحدث عن هذا فيما بعد.»

ودار بالسيارة فى المنحنى المؤدى الى داخل الغابة، وتعبيرات وجهه تتسم بالجمود والبرود.

لم يعد هناك أى أثر للعاصفة التى داهمت الجزيرة بعد الظهر، وأصبحت صفحة البحر هادئة تماما،وتحولت الرياح الى نسيم رقيق يداعب الاكتاف وانحسرت مياه المد بعدما غسلت رمال الشاطئ التى أكسبتها الشمس الغاربة لونا ذهبيا ناريا، وأخذ غرانت و روبين يمشيان على الشاطئ الشرقى بدون أن ينبسا ببنت شفة، وأخذ كل منهما يسبقه ظله الذى استطال بفعل الشمس الغاربة.

وبعد قليل أحست روبين بأنفاسها تتقطع لا بسبب الاجهاد وانما بسبب التوتر الناجم عن صمت الرجل الذى يسير الى جوارها. وتذكرت فجأة تلك التلمحات المحيرة التى جاءت فى كلام مارك ثورنتون لها بعد ظهر اليوم، وكذلك تذكرت بعض المظاهر الطفيفة التى لمستها خلال الفترة القصيرة التى عرفت فيها آدم غرانت. من المستحيل ألا يتملكها حب الاستطلاع لمعرفة كنه هذا الرجل، وألا تتكهن بمن يكون ومن أى مجتمع جاء ليحيا فى تلك الجزيرة النائية.

وعندما طالت فترة الصمت توقف آدم فجأة ودار ليصبح فى

مواجهة روبين وبدون أى مقدمات فاجأها بقوله:

«روبين أرد الزواج منك.»

وبدا أن عجلة الزمن توقفت، ثم بدأت تدور فى عنف وبسرعة حول الهالة الضوئية المحيطة بروبين وهى تحاول التأكد اذا كان آدم غرانت قد تفوه فعلا بتلك الكلمات، أو أنها كانت تحلم، ربما كان الامر كله مجرد حلم...

وقال لها:

« كلا اننى لم أصب بالجنون، سمعت ما قلته لك.»

وتنهد وهز رأسه وأضاف قوله:

«لا تقولى شيئا، علينا بالجلوس وسوف أشرح لك كل شئ.»

واتجه بها نحو تلك الكتلة الخشبية التى جلسا عليها من قبل.

وقدم لها سيجارة وأشعلها ثم قال لها فى هدوء:

«ظلت أفكر فى الامر مليا، وأعتقد أن هذا هو السبيل الوحيد.»

فقالت وقد اتسعت عيناها وهما تشعان ببريق ينم عن الشعور بالدهشة:

«أن أتزوجك؟»

وهزت رأسها وهى تحاول أن تضحك وقالت:

آدم، لا يمكن أن تكون جادا فيما تقول.»

«هذه أول مرة تنطقين فيها باسمى.»

«كان يجب أن أدرك هذا، تقدمت لى باقتراح غريب جدا بعد مضى أربع وعشرين ساعة فقط على تعارفنا.»

«وانا أعنى ما أقول، ولست ممن يندفع فى تصرف أحمق، روبين، انصتى الى،الظروف تتطلب هذا ان كنت ستعيشين معى لفترة ثلاثة أشهر، واننى...»

«ولكننى لا أعيش معك، وانما انا...»

«انك تقيمين معى، انه فرق بسيط فى المعنى، ولكن المفهوم واحد، أوهو يبدو كذلك بالنسبة الى العالم من حولنا.»

«انتظر لحظة...»

وابتعدت عنه، واضافت قائلة:

«أريد أن يكون الامر واضحا، أى فرق فى المعنى ذلك الذى تتحدث عنه؟ لو كانت فى رأسك أية أفكار ملتوية...»

فرفع يده وقال فى حدة:

«أما أننى انسان غير قادر على التعبير عن نفسه، أو أن ادراكك للامور ضعيف، هدئى من روعك، وهل يعتبر احترام سمعة فتاة الآن من الأمور الملتوية.»

«انه يعتبر كذلك فى بعض الاوساط، ولكن الزواج هو بمثابة تطرف فى ابداء الاحترام.»

واسترخت قليلا، وأضافت قائلة:

«والى جانب هذا فالعالم بعيدا عنا. فمن الذى سيعرف ومن الذى سيهتم؟ ولست ممن يهتمون بما يجول برؤوس الناس من شكوك؟.

«ربما لا تعبأين أنت، ولكننى أعبأ بهذا، وسوف يعود كلانا الى الوطن أخر الامر.»

«وماذا فى هذا؟ على أى حال هناك كثيرون لديهم مدبرات يشرفن على بيوتهم، أو اناث يعملن ويقمن معهم، فأى فرق فى هذا؟»

«أنت.»

فقالت له فى دهشة:

«أنا؟ اننى لاأفهم.»

«أولا أنت فى رأيى بحاجة الى من يرعاك الى أن تعيدى تنظيم حياتك المرتبكة، وعلى هذا فسوف تمكثين معى الى أن نعود الى انجلترا وتبقين معى بعد ذلك لبعض الوقت الى أن تتكيفى مع الوضع الجديد بعد فقدانك لأبيك، وفقدانك لذلك النمط من المعيشة الذى كنت تحبينه.»

وهز كتفيه قائلا:

«وما يأتى بعد هذا سوف نواجهه فى حينه.»

«مازلت لا أصدق أنك جاد فى هذا، ولكن حتى لو كنت جادا فالامر مستحيل فنحن لا يعرف أحدنا الأخر، ناهيك عن أن...»

«أن يحب كل منا الأخر، أليس كذلك؟»

فردت عليه وهى تحاول الاستخفاف:

«حسنا، انه لأمر جرى عليه العرف قبل أن يفكر المرء فى الزواج.»

فقال لها وقد اكتسب صوته بعضا من الخشونة:

«اننى لأدهش أحيانا لأن فترة الثلاثة أشهر التى أمضيتها هنا فى عزلة انفرادية غيرت نظرتى الى الامور. واننى أعتقد أن أن شخصين، تتوفر لهما الارادة ويخلص كل منهما للأخر، يمكنها اقامة حياة مشتركة أكثر مدعاة للرضى، وعلى أساس أكثر رسوخا.»

«كلامك واضح، واستنتج منه انك لا تؤمن بالحب، أو تراك تعرضت لصدمة شديدة فى حياتك؟»

«ألم يحدث هذا لك أنت؟»

ولاذت بالصمت، فقال لها فى هدوء:

«هذا الرجل الذى ذكرته، هل كنت مخطوبة له، وهل كنت

تحبينه؟»

«لست متأكدة من هذا.»

وترددت وقالت:

«كنت أعتقد هذا، ولكن عندما تمت الخطوبة، بدأت الامور كلهاتسير فى الاتجاه المعاكس، وبدأ يتهرب منى ويتركنى وحدى، ولم أكن أدرك أنه متبرم بهذا الارتباط وقال لى انه سيتيح لى الوقت للتدبر والتفكيرفى الامر و ...»

ثم مضت تقول:

«وترك الأمر لشخص أخر لكى يبلغنى بالحقيقة، وكانت هناك فتاة أخرى فى حياته وكان يشاهد معها فى كل مكان. وعندئذ رددت اليه خاتم الخطوبة وأبلغته بأننى لا أريد رؤيته مرة أخرى. وفى ذلك الحين قابلت كارلنغ، وباقى القصة أنت تعرفه.»

«أتعتقدين أنك كنت ستسعدين معه؟»

فالتوت شفتاها فى مرارة وقالت:

«أتقصد اذا كنت تزوجته؟ أتريد حقا معرفة الاجابة؟»

««فى الواقع لا أريد.»

ثم عاد يسألها:

«قولى لى يا روبين، ما الذى تتطلعين للعودة اليه؟»

www.elromancia.com

«انك لست فى حاجة الى الاجابة على هذا السؤال أيضا.»

«لنفترض أنك تتطلعين فى اتجاه آخر.»

«أتتقصد العلاقة التجريبية التى اقترحتها منذ قليل؟»

«ولم لا؟ انها ستحل مشكلة؟»

«وتنجم عنها مشكلات أخرى كثيرة.»

وسألها باستغراب:

«انك معجبة بمارك ثورنتون أليس كذلك؟»

«وما دخل هذا فيما نتحدث عنه؟»

«له دخل بكل شئ، فأنت لاتدركين أنك تتطلعين الى شخصية تحل محل أبيك الذى فقدته، ولهذا منحت ثقتك لكارلنغ. والآن سيلبى مارك ثورنتون حاجتك هذه فى ترحيب.»

فردت فى حرارة:

«هذا شئ مضحك، فأنا لم أفكر فى شى من هذا القبيل.»

«أعلم أنك لم تفكرى فى هذا، ولكنك اذا مكثت هنا ثلاثة أشهر بدون أى ارتباط فسوف ترتبطين به عاطفيا فى القريب العاجل، فهذا أمر لا يمكن تجنبه، ناهيك عما يمكن أن يحدث أيضا بالنسبة الى ستيفنز و روزى تريهيرن.»

«لم أقابل تريهيرين.»

«سوف تقابلينه، وأنت تعرفين ما الذى ينتظرك فى نهاية الشهور الثلاثة. قلب محطم بدون أن تجدى ما يعوضك سوى الامل فى ان تبدأى حياتك من جديد وأنت تحملين على كتفيك حملا ثقيلا من مشاعر الرثاء لحالك.»

قالت له فى حدة انها انها سمعت أغرب اقتراح على الاطلاق. وأضافت قائلة:

«كم هو رقيق منك أن تقول لفتاة انها تعيش الحياة وهى نفسها وترثى لحالها.»

فرد عليها فى هدوء قائلا:

«اننى عندما أبدى الحنان والمحبة نحوك فاننى صادق فى مشاعرى، وكل منا لا يعرف الكثير عن الأخر، ولكن كلا منا عرف الاخر شخصيته الحقيقة وليست الواجهة المنمقة لشخصيه، ولم تكن هناك أى مناسبة لتقديم الهدايا التى سرعان ما يضيع تأثيرها مثل العطر الرخيص.»

«لم تقل لى الكثير الكثير عن حياتك، فلابد أن شيئا ما جعلك تدير ظهرك للعالم، هل تلك الفتاة هى وحدها السبب فى ذلك؟»

«ليست تلك الفتاة هى السبب الوحيد، وسوف أحكى لك قصتى يوما ما.»

«ولم لا تحكى الآن؟»

«أريد ردك أولا، قبل أن يأتى الرد متأثرا بمشاعر الشفقة نحوى.»

«أليس هذا- أى شعورك بالشفقة نحوى- هو الدافع نفسه وراء اقتراحك غير العادى؟»

«كلا، فأنت فى عنفوان الشباب وتتمتعين بالجاذبية الشديدة، وما كنت لأطلب منك الزواج منى ان لم تكن لدى رغبة فى ذلك.»

فقالت له وقد أعيتها الحيل:

«ولكنك لا تعرفنى.»

«وهذا أفضل.»

وتحرك وأخرج علبة سجائرة وقال لها:

«ولكننا بهذا النقاش بدأنا ندور من جديد فى الحلقة المفرغة نفسها، أمامك قليل من الوقت لتفكرى فى الامر وتفكرى أيضا فيما سوف يعنيه رفضك.»

وخطر لها فكرة، ثم قالت له وعيناها تشعان ببريق الانتصار:

«اذا افترضنا أننى وافقت، فلن نستطيع الزواج، فليست هناك كنيسة، وليس هناك موثق لعقد الزواج، لاشئ هنا بالمرة.»

«فكرت فى هذا الامر، وأعتقد أن المبدأ، الذى يطبق فوق السفينة يصلح للتطبيق فى جزيرة ألزينا، فربان السفينة يمكنه أن

يبرم عقود الزواج وأن يشرف على عملية دفن الموتى فى البحر، وهنا يعتبر اللفتانت ثورنتون هو حاكم الجزيرة التى تستخدمها فى أغراض الارصاد الجوية، وفى غيبة أية سلطات أخرى مسؤولة فانه يصبح مسؤولا عن أى معاملات رسمية، بما فى ذلك، كما أعتقد فى مثل هذه الظروف، اجراء طقوس الزواج.»

«وهذا سيجعلنا نقع غالبا فى ورطة قانونية عندما نعود الى انجلترا.»

«لن أقول رأيى فى هذا الشأن، ولكننى مصمم على الا أدع هذا يقف عقبة فى سلبينا.»

فقالت وقد تملكتها الدهشة

«انك تبدو شديد الاصرار على الزواج.»

فأخذ يتمتم وكأنما يحدث نفسه وقال:

«نعم، وانه لشئ رائع أن تكون لدى المرء الرغبة فى التصدى للعقبات. ومع هذا فهناك شئ أخر أشعر أنه ربما يسبب لك قلقا دفينا، رغم أننى غير متأكد من هذا؟!.

ووقف ووضع القداحة فى جيبه وأضاف قائلا:

«اعلمى أننى أحترم مشاعر الانثى فى مسائل الحب والحنان، واذا أنت قررت الزواج منى فسوف تكونين حرة فى تحديد مدى التقدم الذى تحققينه فى مجال العلاقة المبدأية بيننا، وأنت كزوجة

www.elromancia.com

لى سوف تحملين أسمى، وتنالين احترامى ورفقتى واخلاصى أيضا، ولكننى لا أريد مطلقا انتزاع الحب قسرا بدون رغبة من طرف الاخر. هل فهمت ما أعنيه؟»

فردت بصوت خفيض:

«نعم.»

«حسنا.»

وساعدها حتى نهضت واقفة وسارا بخطى بطيئة فى طريق العودة على طول الشاطئ الذى خيم فوقه الظلام. ولزم الصمت فى طريق العودة مثلما فعل عندما خرجا فى البداية، وهو ما لقى ارتياحا شديدا من روبين. ولأول مرة منذ ستة أشهر أحست روبين بأن ذهنها أصبح خاليا تماما من الذكريات الاليمة والمريرة، فالرجل الذى مازال غريبا عنها تماما شغل كل فكرها، ونحى من ذهنها جانبا كل الاشياء والاشخاص.

٤- إنى أوافق

فى تلك الليلة رقدت روبين فى فراشها وهى مستيقظة لفترة طويلة وراحت تحدق من خلال النافذة الى النجوم المتناثرة فى السماء، وهى ترتدى البيجاما الحريرية المريحة التى ترطب جسمها فى حين أخذت تتنازعها الافكار.

حائرة بين الرفض القاطع لتلك الفكرة الحمقاء التى عرضها عليها غرانت، وبين التفكير الجاد فى قبوله زوجا لها . أية صدمة سيصاب بها ان هى فعلت هذا.

وجالت بخاطرها ذكرى خطيبها السابق نيجل الذى لم تعرفه على حقيقة مثلما أدركت الآن. كان فى عنفوان الشباب والسحر

www.elromancia.com

والمرح، وكل هذه كانت مظاهر سطحية تختفى تحتها حقيقة شخصيته التى تتسم بالانانية. تخلصت منه قبل أن يجمعهما قفص واحد بعد حوالى عام.

وأخيرا بدأ النعاس يداعب جفنيها، فاستغرقت فى نوم عميق، ولم تستيقظ الا عندما ملأت أشعة الشمس السماء. كان الصمت والسكون يخيمان على البيت الصغير، وأحست بالخوف وهى تقوم من فراشها وتعد لنفسها طعام الأفطار، ولم تكن تسمع سوى أصوات الطيور، وتملكها شعور بأنها آخر من بقى على الارض. لابد أن يكون آدم قد ذهب الى الملاذ الذى تلجأ اليه الطيور.

ولاحظت أن السيارة الجيب غادرت مكان الانتظار المخصص لها خلف النزل. لماذا إذن لم يوقظها آدم؟ ولماذا يريد الزواج منها؟ وبدأت تقوم بترتيب المنزل، وتملكها الملل وتمنت أن يعود آدم قبل أن يحدث شئ ما.

وعندما حان وقت الغذاء وطالت غيبته بدأت تنزعج وينتابها شعور بالقلق الشديد الا أنها راحت تلتمس له الأعذار. ولكن عندما طالت فعلا فترة تأخره، لم يكن أمامها من سبيل لكى تعرف برنامجه لهذا اليوم... وأحست بالجوع الشديد ولكنها امتنعت عن تناول الطعام ، واكتفت باعداد فنجان من الشاى تناولته مع قطع من البسكويت. وخرجت للقيام بجولة، وقررت السير الى محطة الرصد الجوى، وعندما وصلت الى النقطة التى ينحنى عندها الممر خلال الغابة، غيرت رأيها وقررت العودة الى الشاطئ ولكن عليها أن

تعود الى البيت لاحضار منشفة الاستحمام ، وربما يكون آدم نفسه قد رجع الى البيت خلال ذلك الوقت.

وعادت الى الشاطئ وفرشت المنشفة فوق الرمال وتمددت فوقها تحت الشمس وغلبها النعاس فنامت لتعويض فترة النوم التى فقدتها الليلة الماضية. ولم تعرف كم من الوقت مضى عليها وهى نائمة، ثم استيقظت فجأة عندما أحست بظل يحجب عنها أشعة الشمس فتحركت لتجد نفسها وجها لوجه أمام آدم. تهللت أساريرها ولم تستطع أن تخفى سعادتها وهى تنهض وتصيح قائلة:

«أين كنت؟ تملكتنى الحيرة والتساؤلات... هل تناولت طعام الغذاء... انتظرت لفترة طويلة ثم...»

فابتسم قليلا ثم قال:

«أخذت معى بعض الطعام، هل كنت قلقة على؟»

«طبعا كنت قلقة! لماذا لم تخبرنى؟»

«لأنك كنت مستغرقة فى النوم هذا الصباح.»

ورمقها بنظرة حادة وأضاف قوله:

«اعتقد أننى حصلت على الاجابة بالنسبة الى اقتراحى.»

ففرت فاها، وقد تاهت منها الكلمات التى كانت ستتفوه بها وانطلقت فى طريق العودة الى البيت تاركة اياه على الشاطئ أو يعود كيفما تراءى له. وأخذت تتساءل عما كان يعنيه، وهل كان يعنيه،

وهل كان يظن أنها تعتمدت لفت انتباهه؟ لابد أن تزيل من ذهنه هذه الفكرة الخاطئة وكلما أسرعت فى ذلك كلما كان أفضل

ولحق بها فى اللحظة نفسها حين وصلت الى البيت، لكنها وجدت الدش لا ينزل منه الماء فنادت على ادم الذى ذهب لتشغيل مضخة الماء بعدما قال انه سيترك لها أمام الباب علبة السجائر لتقطع الوقت فى التدخين ريثما يمتلئ الخزان بالماء.

أحست بخطواته تبتعد فتحت الباب قليلا ووجدت علبة السجائر والولاعة فوق كرسى، فأخذتهما وبدأت تدخن، ولاحظت بان محفور عليها حرف ف وليس الالف أو الغين أول حرفين لاسم أدم غرانت. ربما كان الحرف الاول لاسم أبيه أو أخيه ترى ما الاسماء التى تبدأ بحرف ف ؟ فيكتور، فرنون، فنسنت، فلاديمير، وبدأ الماء ينهمر فوقها وبعد لحظة سمعت صوت أدم يقول لها:

«ستحتاجين الى شئ أخر.»

وفتح الباب قليلا ومد يده ليقدم لها منشفة كبيرة، فشكرته وهى تقول له ان المنشفة التى معها اتسخت بالرمال. فقال لها انه يرى ضرورة شراء غسالة أو شراء مزيد من المناشف. وأحست بصوته يخفت تدريجيا مع ابتعاد خطواته.

وفى المساء وبعد تناول طعام العشاء، كانت فى روح معنوية أفضل وهى تدخن السجائر الفاخرة وتحتسى القهوة، وكان آدم يبدو مشغولا بعمله، وادركت أنها ربما تكون قد تسرعت فى حكمها، أو

أنها حساسة أكثر من الازم.

وذهب آدم الى الردهة الصغيرة، وأحضر خزانة ملابس كبيرة تستخدم فى السفر ولاحظت أنها تحمل عددا كبيرا من بطاقات العواصم الاوربية، الكبرى. وقال لها وهو يفتح الخزانة انه ممناز فى قدرته على ربط الاشياء وتغليفها ولكنه لا يستطيع أن يجارى أمه فى هذا المجال.

وأخرج قميصا حريريا لونه برتقالى داكن، ورفعه على مسند كرسى وهو يقول:

«وضعت أمى كل ملابسى فى هذه الخزانه حتى تكون بمأمن من نسيان أى شئ.»

وأمسك بقميص أخر من الحريرالسميك الناعم، ولكنه أكبر حجما ولونه أخضر وتساءل:

«هل سبق لى ارتداء هذا القميص؟»

«انت أدرى بهذا.»

انه ليس خبيرا فى مقاييس المرأة، ولكنه لا يعتقد أن مقاييسه تناسبها، وسألها اذا كانت تستطيع صناعة الملابس. فقالت له انها تستطيع ذلك بشرط أن يقوم أحد ما بادخال الخيط فى ثقب الابرة التى ستستخدمها. فرد عليها بقوله:

«عليك الآن أن تتعلمى القيام بهذه المهمة بنفسك.»

ونهض مشيرا الى خزانة الملابس وأضاف قوله:

«اختارى ما تشائين، واعملى المقص فيه.»

ولم تعجبها النظرة التى رمقها بها كأنه يظنها غبية.

فقالت له:

«أتعنى...»

«أعنى أن لدى ملابس تزيد كثيرا عن حاجتى لسنة كاملة...»

وهز كتفيه وأضاف قوله:

«وان وجدت ما يفيد فاختارى منه ما تشائين.»

فقالت فى تردد:

«ولكننى لا أستطيع ... انه لكرم منك، ولكن... »

استدار ليتركها وهو فى ضيق:

«نعم،أعتقد أنها كانت فكرة سخيفة، ولا أظن أن هذه الخزانة فيها شئ ذو قيمة.»

«كلا...»

تملكها شعور مفاجئ بالحنان والمحبة واتجهت نحوه وقالت له:

«ليس الامر كما تظن، ولكن لا يمكننى قص تلك الملابس الجميلة والثمينة انها ستكون جريمة.»

«كلام فارغ، انها لا تلائمنى ولكنها قد تحل لك مشكلة نقص ملابسك.»

وابتسم ثم أضاف قائلا بجفاف:

«لن يكون مظهرك غير عادى، وأنا أعلم أن المراة على استعداد لاستعارة أى ملابس يرتديها الرجل، اذا كان هذا يزيد من جاذبيتها.»

«انك تغرينى بشدة لافعل هذا.»

«افعليه اذا.»

ورفع القميص الحريرى الناعم وقاسه عليها، وقال لها:

«اذا قصرت الكمين، ستصبح ملائمة لمقاسك.

وراحت تنظر الى طول القميص بينما صاح آدم:

«يالهى، وضعت أمى هذا أيضا فى الخزانة.»

وأخرج سترة مخصصة للتدخين فى المساء، فأخذتها روبين ولبستها ووقفت فى وضع مسرحى مفتعل وسألته:

«أين القبعة التى تلبس مع تلك السترة.»

فقال لها وقد بدا الحزن فى عينه.

«ليست هناك أية قبعة وانما يمكن استخدام الغليون»

www.elromancia.com

فقالت له وهى تضحك:

«السيجار سيكون افضل، وسوف أشعر عند ئذ بأننى أشبه كثيراً بجورج صاند الروائية الفرنسية التى برعت بتصوير حياة الريف.»

فلمعت عيناه ثم نظر الى خزانة الملابس وقل لها:

«سأنقل هذه الخزانة الى غرفتك لتنتقى منها ما تشائين.»

ولفت نظرها كلمة غرفتك وراحت تسائل نفسها:ما الذى جعلها تشعر غريزيا بأن هناك شيئا ما يثير الاحزان فى نفسه اذا استرجع ذكراه، وهو الشئ الذى لا يريد التحدث عنه؟

هل هو من عشاق الفنون؟ معلوماته الموسيقية تشير الى هذا، الا ان مظهره العام يتسم بالخشونة، فهو مفتول العضلات ومكتمل الرجولة...

وبدأت تخرج الملابس من الخزية فى بطء ان الطريقة التى صنعت بها تلك الملابس خالية من الاخطاء الامر الذى يزيد من الغموض المحيط بشخصية أدم غرانت. وبعض الاخر بأن صاحب تلك الملابس هو ممن يركنون الى الدعة والتكاسل وان كانوا يتميزون بالاناقة. ولكن الشئ الذى يجمع بين كل تلك الملابس هو انها ذات طابع رجالى وأنها غالية الثمن.

وعلقت بعضها فى العلاقات القليلة الموجودة، بينما بدأت تنتقى ما يلائم مقاسها، وأجرت بعض التعدلات فيها لتتلاءم مع جسمها

وذوقها.

وفجأة ملاها الزهو وأحست بالرغبة فى استعراض نفسها، واخذت تنادى آدم وهى تقول:

«آدم انظر!»

ولكن أحد لم يرد عليها. وأخذت تنظر الى الطريق المؤدى الى الشاطئ لعلها تراه، وراحت تناديه ولكنها لم تسمع سوى حفيف أوراق الشجر. وخرجت تدور حول البيت وهى تناديه ولكن بدون جدوى. ثم لمحته يقف مستندا الى مقدمة سيارته الجيب وظهره ناحيتها، فتقدمت منه ولمسته بيدها فى رقة وقالت له:

«آدم، ماذا جرى؟»

فاستدر نحوها فجأة، مما جعلها تتراجع خطوة الى الوراء ونظرت الى وجهه فرأته شارد البال وكأن عينيه لا ترينها واستطاعت عندئذ أن تحس بالمأساة التى يعيشها وتمزق قلبه. ثم أفاق من شروده وتنبه الى وجودها، وارتسمت على شفتيه ابتسامة عذبة جعلت روبين ترثى لحاله.

لاحظ أنها ترتدى أحد قمصانه، فطلب منها أن تأتى الى حيث الضوء حتى يستطيع أن يراها جيدا. فترددت، وتلاشى ذلك الاحساس بالزهو الذى جعلها منذ قليل تخرج للبحث عنه، ونظرت اليه بقلق قائلة:

«ادم، ماذا هناك؟ انك تبدو شديد...»

وهزت رأسها وهى ترمقه بنظرة قلقة وقالت له:

«ألا تخبرنى بما حدث؟»

فزم شفتيه لها:

«هل هناك ضرورة لايلامك؟ أنا واثق أنك تعلمين تماما ما الذى تحدثه اللحظات التعيسة فى حياة الانسان عندما تقع...»

وساد صمت بينهما وهوينظر الى ملامحها المتقعة والقلقة.

وسرت رعدة فى شفتيها، وأحنت راسها و تحسست الحزام الذى يطوق خصرها بأصابعها المضطربة، وأخذت شهقة عميقة كأنها تتنهد ونظرت الى آدم، وهمست قائلة له:

«أدم، هل كنت تعنى ما قلته ليلة أمس عن، عندما سألتنى...»

«أعنى تماما كل كلمة قلتها.»

«حسنا، ان كنت مازالت ترغب فى هذا... فانا ايضا أرغب فيه... ان كنت تعتقد أنه سيحل المشكلة و...»

٥ - الخطوة الأولى

بعد مرور خمسة أيام قام ثورنتون، بوصفه الشخص المسؤول عن تسيير الامور فى الجزيرة، بابرام عقد زواج آدم وروبين فى قاعة تم اعدادها بصفة مؤقتة فى مبنى محطة الرصد. وكانت الايام الخمسة التى سبقت الزواج هى أشد الأيام غرابة وتأثيرا فى حياة روبين، تكتشف فيها الاعماق الدفينة وغير المتوقعة لمشاعر العطف الانسانية. ومنذ البداية أثارت فكرة اقامة حفل زواج ألزينا خيال كل فرد فى الجزيرة، وذلك منذ ان بدأ ثورنتون ينقب فيما لديه من مراجع للتعرف على الاجراء السليم الذى يتبع فى مثل تلك الحالة النادرة، حتى وضع أدم الخاتم فى أصبع روبين.

www.elromancia.com

ورغم أنه لم يتبع فى حفل الزواج التقليد المعروف الذى يقضى بأن ترتدى العروس شيئا جديدا وشيئا قديما، الا أن هذا الحفل أصبحت له منزلة خاصة لا تمحى من الذاكرة روبين، بغض النظر عما قد يحدث فى المستقبل.

وبعد انصراف المدعوين قال آدم لروبين:

«هيا بنا نفتح هدايا زواجنا، شخصيا لم أكن أتوقع أن نتلقى أى هدايا.»

وأخذا يتفحصان الهدايا وهما فى سعادة الى أن قالت له روبين ان هودريك دعاهما لتناول العشاء يوم الخميس المقبل، فتبدل وجهه بصورة أربكتها وقال لها فى حدة:

«العشاء؟ وهل قبلت الدعوة؟»

«طبعا قبلتها، لا يمكننى أن أرفضها.»

«كنت أرجو الا تفعلى.»

وتلاشت روح الدعابة على وجهه لديه لتحل محلها تعبيرات باردة مليئة بالعجرفة، مما جعلها تشعر من جديد بأنه غريب عنها. وتنهدت قائلة:

«ولماذا لا أقبل الدعوة؟ الجزيرة فيها أناس قليلون وعلينا أن نعقد صلة صداقة مع هذه القلة.»

فضم آدم شفتيه وهو متجهم وقال لها:

«لم أحضر أحضر الى هنا لاقامة علاقات اجتماعية. أعتقد أن هودريك له اسبابه الخاصة التى دفعته الى هذا، لا تظنى أن الامر هو مجرد شعور بالصداقة من جانبه، مضى وقت طويل منذ أتيحت له فرصة لفرض رعايته واستعراض غروره.»

«لا اعتقد هذا، وما يدفعه الى ذلك ؟ قد يكون فيه بعض الغرور ولكن...»

وانتابتها الحيرة، فمن المؤكد أن آدم يبالغ فى قوله، فهو يصور هودريك وكأنه لديه هدفا شخصيا يسعى لتحقيقه، وأنه يحاول دفعه للقيام بعمل ما ضد ارادته، ولكن ما هو هذا العمل؟ ولماذا سبب مثل هذا الغضب لادم؟ وأخيرا توصلت الى قرار. فربما كان هناك أمر ما يهم هودريك، بل من المؤكد أن هناك أمرا ما، وكيف يمكنها ان هى لم تعرف الحقيقة أن تخف شيئا من شؤونها الخاصة، فلماذا يخفى آدم عنها أسراره؟ وفوق كل شئ انها الآن زوجته...

ونادته، وانتظرت حتى تحرك وأصبح فى مواجهتها وقالت له:

«ألم يحن الوقت بعد لتتحدث الى»

«أتقصدين أن هودريك لم يحك لك؟»

«لم يبلغنى هودريك بأى شئ، وتلك هى المشكلة...»

وصاحت قائلة:

«لم يبلغنى أحد بشئ، انهم يفترضون أننى أعرف، ويتحدثون بأشياء تصبح ذات معنى عندما ترتبط بما لا أعرفه. وكيف يمكننى المضى فى التظاهر بمعرفة ما يتحدثون عنه وأجعلك تنظر الى وكأننى ارتكبت اكبر زلة فى حياتى؟

كلامهم كله يدور حول امتناعكالعزف، وأن هذا أمر يؤسف لهو... و... لماذا اتشعر بأننى أعرفك؟ وأشعر برغم هذا بأننى يجب أن أعرفك؟ لا يمكن أن أكون قد قابلتك من قبل ونسيت، لماذا لا تحكى لى؟»

ونظر اليها لحظة طويلة وهى تحدق فيه بنظرات مليئة بالعاطفة المشبوبة، قال لها:

«السبب فى هذا اننى لم أعد أتحمل مزيدا من مشاعر العطف والشفقة، وعندما أدركت أنك لم تعرفينى فضلت عدم ابلاغك حتى أوفر على نفسى عناء ومشقة الشرح والتفسير من جديد.»

ونظر اليها وأضاف قوله:

«انا آدم فاند.»

«فاند عازف البيانو.»

ومرت لحظات كأنها الدهر، وتنهدت روبين تنهدة طويلة، وانعقد لسانها فى البداية وهى تعجب لانها لم تتعرف عليه، هل كانت عمياء الى درجة أنها لم تتعرف الى الرجل الذى استطاع فى ثلاث

مناسبات، كما تذكر الآن، أن يستحوذ على اهتمامها هى وعدة الآف آخرين لليلة كاملة. آدم فاند هو واحد من أعظم عازفى البيانو فى العالم، ويعتبره البعض واحدا من أبرع الموسيقيين فى هذا القرن الذين ساروا على درب شوبان.

وبدأت روبين تتذكر ما حدث قبل شهر واحد من وفاة أبيها. كان أبوها من هواة حضور الحفلات الموسيقية وحاول أن يغرس حب الموسيقى فى ابنتيه منذ طفولتهما المبكرة. وهى تتذكر الآن، كان هذا قد وقع بالامس، أن والدها صاح ذات مساء وهو يقرأ العنوان الرئيسى فى الجريدة وقع حادث لسيارة آدم فاند وهو عائد من حفل موسيقى فى ادنبره. وبمعجزة لم تلحق به اصابات خطيرة، الا أن الاطباء يخشون أن تؤدى التمزقات التى لحقت بيده اليمنى الى تهديد مستقبله الموسيقى.

وبعد مضى أسبوع نشر بيان مؤداه أن آدم فاند لن يعزف مرة أخرى للجمهور، وانه سيرحل الى جهه غير معلومة لقضاء فترة نقاهة... كانت خطيبته هى التى قادت السيارة... وكان اسمها... هل كان الاسم هو ستيللا؟ وتأجل الزواج... وعقب أبوها على هذا الحادث بقوله:

«كم هو مفزع»

ووافقته هى على رأته، ثم نسيت تلك الفاجعة التى لم تمس حياتها شخصيا، والآن أصبحت زوجة آدم فاند!

وعادت معالم الغرفة الهادئة تتضح من جديد أمام عينيها بعدما عاشت مع ذكرياتها لبعض الوقت، وبدت لها الملامح المكفهرة للرجل الذى كان يقف بلا حراك كأنما نحت من الصخر. ونظرت الى يديه اللتين أدخلتا الحيرة الينفسها وكانت تظنهما يدى جراح ونسجت حولهما قصة خيالية وهى تحاول اكتشاف السر الذى أدركت بحاستها الغريزية أنهما تخفيانه.

واخيرا تمالكت نفسها وخرجت عن صمتها قائلة:

«لماذا... لماذا لماذا لم تخبرنى؟ لاأعرف ماذا أقول. انه لأمر شديد...»

وأخذت تهز رأسها، وهى عاجزة عن أن تعبر بالكلمات عما يجيش فى صدرها من أحاسيس بعد أن عرفت من هو، وهى تدرك أن أى كلام تقوله لن يؤدى الا الى تجديد الأمه. وفجأه تغلبت عليها عواطفها، ولم تستطع السيطرة على نفيها، واندفعت نحو لتمسك بيديه وتضغطهما على خدها. وكانت فى تلك اللحظة على استعداد لأن تمنح أى شئ وتفعل أى شئ ان كان هذا سيعيد هاتين اليدين الى العزف من جديد.

واهتزت الرؤى أمام عينيها، وفجأة دفعها بعيدا عنه بغلظة قائلا:

«لا تفعلى هذا، ولننسى ما حدث.»

فردت عليه هامسة:

«كلا، سيكون من الحمق أن نحاول هذا، وأنا أعرف أننى لن أستطيع، ولا أدرى كيف يمكنك أنت أن تفعل هذا. فقال لها فى مرارة:

«ليس أمامى أى خيار أخر، وربما أدركت الآن السبب الذى جعلنى أتردد فى قبول دعوة هودريك وولف.»

«وهل هو يذكرك بالأمر كله؟»

«انه يملك البيانو الوحيد الموجود فى هذه الجزيرة، ولو كنت أعرف هذا لما جئت الى هنا.»

ولوى فمه قائلا:

«انه يتمنى من كل قلبه أن يغرينى بلمس هذا البيانو، وأن أحاول...»

فصاحت قائلة:

«ولم لا؟ الاطباء قد يخطئون، وقد شفيت يداك، وكيف لك أن تدرى أنك غير قادرعلى العزف مرة أخرى قبل أن تجرب هذا؟»

فقال فى تجهم:

«بامكانى أن أعزف تشكلات من القطع الموسيقية، ولكننى لن أستطيع أن أعزف بالطريقة التى أراها صحيحة.»

«ولكن ألا يستحق الامر التجربة؟ كيف يمكنك أن تسمح بضيلع

كل هذا المجد بدون أن تخوض معركة؟ الناس يتعلمون كيف يسيرون من جديد ويفعلون أشياء أخرى كثيرة عقب تعرضهم للحوادث، فلماذا لا تفعل أنت كذلك؟»

«لأن هذه الحالة مختلفة، فعندما يفقد المرء حاسة اللمس لا يمكنه استردادها، أو استرجاعها على الاقل بدرجة الكمال الضرورية بالنسبة الى عازف البيانو، والآن أفضل ألا أخوض فى هذه المسألة أكثر.»

وفى محاولة منها لتهدئها مشاعره صاحت قائلة:

«يا للسماء! نسيت وتركت غرفة النوم بدون ترتيب.»

وأسرعت الى ترتيب الاشياء التى تركتها مبعثرة بعد انتهائها من استعدادات حفل الزواج، ودخل أدم عندئذ فقالت له انها لا يمكنها أن تظل ترتدى البيجامات الخاصة به، فقال انها تستطيع ارتداءها، فلديه ثلاثة منها، وعندما سألته عن رأيه فى الستائر التى علقتها على النافذة قال لها:

«أعددت لنفسك مخدعا نسائيا.»

ردت عليه فى بطء بدون أن تنظر اليه:

«أعددت لنفسى! ان أى شئ أفعله أوأصنعه هنا هو من أجلنا نحن الاثنين يا آدم وليس من أجلى وحدى. لدى بعض الخطط لجعل المكان أكثر بهجة، اتمانع فى قيامى ببعض التغييرات؟»

«كلا؟ افعلى ما شئت.»

وجلست على السرير بعدما خلعت خفيها، وقالت له أن مارك وعد بأن يعطيهما بعض الطلاء ذى اللون البيج والابيض، وبطلاء الذى يستخدمانه فى الطهو، كذلك الحائط الموجود فى أحد الجوانب، ونقل المائدة الى هذا المكان فانه سيصبح لديهما مكان لتناول الطعام، وفى استطاعتها أن تصنع ستارا خلف المائدة. فسألها اذا كانت تستطيع القيام بالطلاء فقالت له انها لا تعرف الطلاء ولكنها ستحاول ان تتعلم، ستجرب اى شئ. فقال لها أن تلك هى معتقدات الشباب. فسألته عن الخطأ فى هذا، فقال لها ان لا بأس بهذا بشرط أن يدرك الشباب أنه يجب عليهاالا يتوقف عن المحاولة وتحقيق أى شئ أظهر فشله فى البداية. فقالت له انها مستعدة لهذا أيضا، وانها تعتقد أنه يجب على المرء أن يحاول مرة أخرى.

وصمت آدم لحظة، وسرى الجمود فى عينيه من جديد، وقد أحست أنه لم يخطئ فهم المعنى الذى تقصده وقال لها:

«الامر مختلف، فانا لم اكن فاشلا فى البداية.»

وخرج فجأة من الغرفة، فقفزت عن فوق السرير وتبعته بسرعة وهى تقول:

«لم أقصد هذا يا آدم، وأنت تعلم ذلك.»

www.elromancia.com

واذ أحست روبين بأن المناقشة اتجهت ينذر بالسوء، أمسكت بذراعه وقالت له:

«أسفة، وافهم موقفك جيدا، اننى لمنزعجة فعلا، كم اتمنى لو لم يكن هودريك أثار هذا الموضوع، انها غلطته...»

فابتسم أدم وهو يسألها:

«وكيف تكون تلك هى الغلطته؟»

فصاحت بلهجة أنثوية قائلة:

«انها فعلا غلطته، فلقد تشاجرنا رغم أننا مازلنا فى يوم زواجنا.»

فرد عليها بفم ارتسم عليه تعبير التهكم وقال:

«وهل هناك فرق؟ لا أظنك مازلت تحاولين التظاهر بالمشاعر العاطفية الشاعرية، لا حاجة بك لأن تفعلى هذا فنحن الان وحدنا.»

فسرت رعدة فى شفتيها وقالت له:

«وهل تظن أننى كنت أتظاهر بتلك المشاعر؟»

فهز كتفيه باستخفاف قائلا:

«اصحيح انك لم تكونى تتظاهرين؟ وكيف لى ان اعرف؟»

«لم أكن أتظاهر، ولا أعتزم الان التظاهر باى شئ.»

وأضافت قائلة بصوت منخفض:

«لم اقصد أذاءك أو مضايقتك بأسئلتى وعليك أن تعلم أننا كى نعيش سويا فى وئام يجب ان نكف عن المبارزة، والا يتصيد أحدنا هفوات الاخر.»

فتنهد قائلا:

«نعم، واعتقد اننا تحدثنا اليوم بما فيه الكفاية، وكان اكتشافك أكثر عمقا مما ظننت.»

فهمست متسائلة:

«مازلت أجهل السبب الذى جعلك تخفى عنى؟ كان عليك أن تدرك اننى كنت سأعرف بذلك أجلا ام عاجلا

«أعتقد أن السبب كان واضحا.»

«وهو أننى كنت سأتزوجك باعتبارك أدم فاند وأنا أشعر بالرثاء لحالك؟ أليس هذا هو السبب؟»

ولم يرد عليها، فأشاحت بوجهها عنه فى حزن وقالت:

«كنت اتمنى أن أعرف، لأن الامر كان سيختلف عندئذ، اذ لم اكن لأقبل الزواج منك لو أننى علمت بهذا.»

«ولم أننى علمت بهذا.»

«ولم لا؟»

www.elromancia.com

«لأن الامر غير معقول، ظننت أنك ترثى لحالى بسبب المأزق الذى أنا فيه، واعتقد أنك تحتاج الى بشكل ما، الا أن آدم فاند ليس بحاجة لى، فقد استقر رأيه على الخط الذى يسير عليه فى حياته، ولا أحد يستطيع أن يثنيه عن قراره، وخاصة تلك الفتاة التى استثارت فيه روح الفروسية الوهمية.»

ورفعت رأسها فى تحد وهى تقول:

«أعدك بألا أظهر أى عاطفة أو أمنحها لأحد بعد الآن، ولكننى اذكرك بان هذا لا يتفق مع طبيعة البشرية. قلت أنت نفسك انه اذا اجتمعت الارادة والاخلاص لدى شخصين ففى امكانهما اقامة حياة مشتركة راسخة البنيان، كما انك ذكرت أيضا أننى فى حاجة الى شخص يعيد تنظيم حياتى المرتبكة، وانا أقول لك بأمانة اننى لم أرغب فى الزواج لأن رجلا ما يشعر بالرثاء الحالى، فليس هذا فى رأيى هو الاساس الذى يبنى عليه الزواج.»

فقال لها فى حدة:

«وهذا هو رأيى أيضا واعتقد اننى اوضحته لك، كما أعتقد اننى ذكرت لك أيضاً فى البداية أننى سأترك لك تحديد مدى التقدم فى علاقتنا العاطفية.»

فتساءلت فى اعياء:

«واى تقدم يتحقق؟ ان الامر... اننا متزوجان...»

«نعم ولكننا نقف عند مستويان عاطفيان مختلفين تمام الاختلاف.»

واضاف فى تجهم قائلا:

«حسننا، هل انت مستعدة الآن لسماع الكلمات المعسول؟ وهل سوف تصدقينها اذا تفوهت بها؟»

وقاومت فى نفسها رغبة فى الصياح لتقول له انها فعلا تحتاج الى الكلمات الحانية، وان هناك دفئا يخفيه وراء تلك المرارة الظاهرة، وانها هى ليست مجرد شئ دخل حياته ليتعامل معه وفقا للمنطق الذى يرضيه. تم زواجهما بناء على اقتراحه هو، واذا لم يتمكنا من ان يصبحا حبيبين فان فى استطاعتهما فان ان يصبحا صديقين.

همست قائلة:

«انك لا تجعل الامر سهلا بالنسبة الى، أليس كذلك؟ هل تعتقد اننى أتطلع للظفر بحبك لى؟ أعرف جيدا أنه جرت العادة على أن يخطو الرجل الخطوة الاولى.»

«نعم، ولكن ليس فى مثل هذه الحالة، وقد اعتقدت انك فهمت ذلك، ولا أظن ان حق الحب يمنح بدافع من الشعور بالواجب، وكانه التزام يمله التقليد المتعارف عليه.»

فتنهدت روبين وضغطت شفتيها وقالت له:

«وهل يجب أن تصدر هذه العاطفة عن الحافز المحرك للحب أو عن مجرد الرغبة؟ ألا تدرك أن المودة تنشأ عن الكرم وعن التقارب فى الحياة الوحدة، أو هى تنشأ عن المصالح المشتركة، هناك أشياء كثيرة جدا تولد هذه العاطفة بحيث يطول شرحها.»

أشاحت بوجهها عنه وهى تضيف قائلة:

«انك فى حقيقتك رجل كريم جدا على الرغم من الشخصية الاخرى التى تحتجب خلف جدار فى داخلك، أعطيتنى الشئ الكثير...»

وأخذت تجول ببصرها تلقائيا فى ارجاء الغرفة وتنظر الى خزانة الملابس المفتوحة وقد ظهر ما بداخلها، وأضافت تقول:

«منحتنى بيتك، وانا لا يمكننى ان أظل آخذ وآخذ بدون...»

وتوقفت عن الكلام مرة أخرى وقد أعيتها، واحست بصراع فى داخله، وبنوع من الخجل لأنها أصبحت تعتمد على شفقة وكرم رجل غريب، ولأن هذا الغريب عرف طريقه الى قلبها بصورة

ما قبل بصورة ما قبل أن تدرك مدى الخطر الذى تنطوى عليه تلك الرابطة الشرعية ورد عليها أدم فى هدوء:

«أعرف هذا، ولكن لا تظنى أننى تطلعت لشرئك أو شراء الشفقة منك بصندوق ملئ بالملابس القديمة؟ تزوجتك ياروبين لأحميك، وهذا هو كل ما فى الامر، تصبحين على خير... وليباركك الله.»

وأغلقت روبين باب غرفتها لتعود الى عزلتها اليائسة. وخلال الصمت الذى خيم حولها أخذت تسترجع كلماته التى وجدت صدى لها فى دقات قلبها. انه هو، وليست هى، أوضح من الذى يقرر مدى التقدم الذى يتحقق فى علاقتهما العاطفية. الى أين ستنتهى بها هذا الوضع؟

www.elromancia.com

٦- حذارى من الشفقة

مع بزوغ ضوء النهار كانت روبين قد حفظت عن ظهرقلب كلاما كثيرا واستعدت لتقوله عندما تواجه أدم على مائدة الافطار، ولكن عندما حانت اللحظة المناسبة قررت أن تلوذ بالصمت. وعلى أى حال لم يبق كلام يمكن أن يقال.

تعمدت أن تبتعد عن طريقه أثناء ذهابه الى المطبخ وخروجه منه، وكانت غرفة الجلوس خالية عندما دخلتها، وكان قد ملأ أبريق الشاى بالماء ووضعه على الموقد ليغلى. وبعد مضى أسبوع ألفت طريقة اعداد طعام الافطار، وأصبحت تعرف ألوان الطعام التى يفضلها آدم وتلك التى لا يحبها، وانتقت تفاحتين كبيرتين ورديتين،

واخذت تفكر فيما ستكون عليه قائمة الطعام بعد مضى أسابيع أخرى. فلقد وصل القارب الى الجزيرة فى الاسبوع السابق وامتلأت من جديد خزائن الأطعمة.

وسمعت باب الغرفة الصغيرة الواقعة خلف غرفتها يغلق، فادركت أنه الوقت لتضع ثلاث بيضات فى الوعاء وتسلقها.

وسمعت خطواته تقترب من غرفتها، ولم تلتفت نحوه عندما دخل والقى تحية الصباح التى اعتادها طوال أيام الاسبوع الماضى

«صباح الخير»

فردت عليه بالمثل.

ووضعت وعاء القهوة على المائدة، وجلست فى مواجهته، حريصة على تجنب النظر الى عينيه. ثم قامت بسكب القهوة وغطت قطعة من الخبز بطبقة من الزبدة وراجعت عداد التوقيت الخاص بالبيض، وكان من الصعب عليها ألا ترمقه بعينيها وهو يتناول البيض، ولكنها نجحت فى تجنب هذا، وأنهى هو الآخر طعامه فى صمت.

بينما أدركت أن استمرارها فى صمتها ليس سوى تصرف أحمق وصبيانى. وهل سيتقبل هو صمتها؟

ولكن يبد وأنه اعتزم حقا أن يفعل هذ، فقد استرخى على كرسيه وأشعل سيجارة ولأول راحت ترمقه بنظرات مباشرة

www.elromancia.com

وتتفحص وجهه بتعبيراته الباردة ونفث دخان السيجارة من فمه وقال لها:

«الى متى ستستمر مؤامرة الصمت هذه؟»

فاسترخت قليلا فى كرسيها وقالت:

«وهل هناك ما يقال»

«كلام كثيرا كما أعتقد حسنا سألتقى بك فى منتصف الطريق، ربما كان هناك كلام كثير قد قيل بالأمس وكان يجب ألا يقال.»

قالت أخيرا فى بطء:

«كل ما قلته كان خطأعلى ما يبدو، أو قد أسئ فهمه.»

وأشاحت بوجهها عنه وهى تضيف قائلة:

«ربما لو كنت صريحا معى من البداية لكنت تجنبت أى كلام لا يجب ان يقال.»

وهز رأسه قائلا:

«كم أنت طفلة يا روبين، وجدت نفسك فجأة مطالبة بأن تنضجى وتواجهى الحياة، وأنت تبذلين جهدا شاقا فى هذا السبيل الى درجة تسبب الايذاء.»

فردت عليه بمرارة:

«أحاول ألا ألحق الأذى بأى أحد أخر.»

«أعلم هذا، وأقتراح أن تتوقفى عن بذل تلك المحاولات، وعليك بالسير قبل الجرى، ومواجهة المواقف فى حينها، فهذا أسهل بكثير.»

واخذت نبرات صوته تكتسب رقة وهو يقول لها:

«الكبرياء والخضوع لا يصلحان لرفقة دافئة كما تعلمين، فالكبرياء تدفعك الى التعالى وعدم الاعتماد على أحد، والخضوع يحز فى النفس، لأن القدر جعلك تعتمدين على فى معيشتك.»

«رتبت كل هذا، أليس كذلك؟»

«لا أحد يمكنه أن يحدد الخط الذى تسير فيه الحياة، ولكنك تواجهين الحياة وتعملين على تشكيلها وفقا لرغباتك، على أن تضعى فى اعتبارك أن القدر له الكلمة الأخيرة عادة.»

«يبدو لى أنك قدرى.»

«كلا فأنا مجرد انسان واقعى.»

ونهض واقفا وهو يقول:

«والآن لدى بعض الأخبار لك.»

وبدأ النشاط اليومى يأخذ طابعا نمطيا، ودهشت روبين وهى ترى مدى العمل اليومى المطلوب من أدم انجازه بالنسبة الى ملجأ الطيور فى الجزيرة، لتسجيل حركة الطيور وتسجيل نشاط الطائرين اللذين يقيمان فى هذا الملجأ، بما فى ذلك تدوين الملاحظات المتكررة فى أحيان كثيرة الا أنها ضرورية، وتحميض

www.elromancia.com

الافلام الفوتوغرافية وطبعها، مع الربط بينها وبين تلك الملاحظات والتوريخ، فضلا عن الرسوم التوضيحية التى يقوم بها، مما يعكس موهبته فى الرسم. كما يتحتم على آدم أن يمضى ساعات بانها تفتقد شيئا هاما فى حياتها اليومية. وسألته روبين فجأة:

«متى سيتاح لى أن أشاهد ملجأ الطيور وأزور قدس الأقداس هذا، وهذه الطيور الأسطورية!»

«اليوم ان شئت، هذا ان كنت مستعدة لتحمل بعض المشاق.»

فاتسعت عيناها وسألته:

«وهل مراقبة الطيور تتطلب أن نجلس على الطين أو فوق شجرة؟»

«ليس الأمر هكذا، ولكن هناك سقيفة تتسع لشخصين بالكاد ولا تسمح بحرية الحركة، وعلى الزائر أن يحرص على عدم أزعاج الطيور.»

فقالت بارتياح:

«لابأس بأن يقيد المرء حركته لبعض الوقت، واننى أعد بأن أظل ساكنة وألزم الهدوء، ان كان هذا هو كل المطلوب.»

«موعدنا اذا بعد تناول الغداء، وسأتركك الآن لشؤونك المنزلية.»

خرجت الى الشرفة لتمتع بصرها بمنظر التل الاخضر تحت أشعة الشمس، والبحر الملألئ عند بعد، وكانت على وشك أن تخرج

للسباحة عندما حضر زائر. انه تونى ستيفنز الذى استأذن فى الدخول بطريقته الصبيانيه فدعته لتناول القهوة فى الشرفة فال تونى:

« لا أدرى اذا جاءت زيارتى مبكرة جدا عن وقتها الملائم، قال لنا مارك انه يجب علينا الانتظارحتى توجه الينا الدعوة، ولكننى أعتقد ...»

فقالت له فى لهجة تهكمية:

«انا سعيدة جدا لانك لم تنظر، وارجو أن تتبلغ مارك عن لسانى باننى آمل ألا يكون معنى هذا أنه يتحتم علينا أن ننتظر تلقى دعوة قبل أن نقوم بزيارتكم فى محطة الارصاد الجوية.»

رد عليها تونى فى سخرية:

«أعتقد أنه يجب عليك ابلاغه تلك الرسلة بنفسك، وفى حال جئت لأعرض عليكما استعدادنا لاعارتكما جهاز الفوتوغراف الخاص بنا لتستخدماه فى الاستماع لبعض الاسطوانات الموسيقية، اذ ليس فى الجزيرة أى نشاط يستطيع الانسان أن يقوم به.»

ومرت لحظة من الدهشة قالت روبين بعدما وهى تبتسم:

«هذا شعور طيب ولطيف منكم، ولا أجد الكلمات التى أعبر بها عن امتنانى لكم.»

ثم تلاشت الابتسامة عن شفتيها وهى تضيف قائلة:

«ولكن ماذا أنتم فاعلون؟ لايمكننى أن أخذ الفونوغراف الخاص بكم، اذ لن يكون لديكم عندئذ أى شئ كى...»

فهز تونى رأسه قائلا:

«سيكون هذا مدعاة لاغتباطنا ياسيدتى، لأن الاسطوانات التى لدينا استهلكت لدرجة أنها أصبحت تصدر أصواتا أشبه بالنباح من كثرة استخدامنا لها، وفى أى حال أحضرت معى الفونوغراف، فهل تسمحين لى بحمله الى داخل المنزل؟»

«أجل، مادام الأمر كذلك.»

ولكن سعادتها سرعان ما تلاشت عندما تذكرت أن التوصيلات الكهربائية الضرورية لتشغيل الفونوغراف غير متوافرة، كما أنها غير متأكدة اذا كان جهاز توليد الكهرباء سوف يتحمل هذا العبء الجديد فى الاستهلاك. وبرغم هذا لا داعى لأن تقلق، تم التفكير فى تلك المشكلة واحضر معه تونى بعض الادوات وقام باجراء بعض التوصيلات الكهربية لتشغيل الجهاز، وطلب منها أن تتصل بالمسؤولين فى محطة الرصد اذا حدثت أى مشكلة فى هذا الشأن.

ونهضت واقفة فى تراخ. ونظرت الى تلك الورقة المكومة فى يدها التى التقطتها بدون قصد، يبدو انها رسالة، وأمكنها أن تتبين كلماتها رغم أنها كادت تمحى بفعل الامطار وصعدت درجات السلم الثلاث فى تباطؤ لتدخل البيت، وأوشكت أن تطوى الرسالة من جديد لتلقى بها، اذ لا شأن بها فيها أو بمن كتبها، ولكنها لاحظت

اسم آدم فتوقفت وترددت لخظة لم تستطيع أن تمنع بصرها من المرور على السطور.

«سيأتى الوقت، ياعزيزى آدم، الذى تشكرنى فيه لهذا القرار المؤلم لى، كما أعتقد أنه سيكون مؤلما لك. ولكننى أشعر بأن كلا منا يحس فى قرارة نفسه بأن الأمور لا يمكنها أن تعود كما كانت. وسأظل ألوم نفسى دائما وأتساءل اذا كان هناك شئ كان فى مقدورى فعله أو وسيلة ما تمنحنى البصيرة حتى يمكن تجنب الكارثة التى وقعت.

ورغم أننا نعلم أن ما حدث كان خارج نطاق السيطرة الارادية البشرية، فسأظل أشعر دائما بالذنب، لأنك أنت الذى أصبت وأنا الأداة التى أصابتك. ربما اتعلم كيف أتعايش مع هذا الشعور، ولكننى أعرف أننى لا أحتمل أن يأتى يوم تنظر فيه الى وأرى المرارة فى عينيك لأننى كنت السبب فى هذه المرارة.

ظننت فى البداية أن حبنا سيكون كافيا لمواجهة مثل هذا الموقف، ولكن منذ فراقنا أخذت أدرك أن الأمر لم يكن كما تصورت، ولاأملك الشجاعة لاقتحام المقامرة وسيظل شعورى بأن حبنا انما هو ضرب من المقامرة باق على الدوام وهذا ما لا أستطيع احتماله. أؤكد لك أننى لا أفكر الا فى نستقبلك فقط، ومن الأفضل بكثير أن يظل يتألم على الدوام. حاول ان تصفح عنى. ان لم يكن الآن ففيما بعد، وحاول أن تفهمنى.» ستيللا...

تلك هى ستيللا، أخر جزء من حياة آدم الضائعة، وتملكها الغضب نحو الفتاة التى غدرت به. كيف تحملت انزال الألم من خلال من خلال هذه الرسالة برجل فقد أغلى ما عنده، مهنته وفنه والموهبة التى حافظت على كيانه والتى يندر تعويضها. وجلست روبين على درجات سلم الشرفة وقد تولد فى داخلها احساس عاطفى رائع، امتلك عليها كل كيانها. وأيا كان ما سيأتى به المستقبل فانها لا تريد شيئا سوى أن تمنحه حبها، وتضع العالم بين يديه وتحقق له السعادة والنسيان، فهل تستطيع هذا؟

ولم تحس، وهى فى غمرة تلك المشاعر والأحاسيس والأفكار، بمجئ آدم الذى سمعت خطواته وصوته فجأة بالقرب منها، فأسرعت بوضع الخطاب فى جيبها، ومدت يديها لآدم الذى ساعدها على النهوض ثم وضع ذراعه على كتفيها وهما يدخلان البيت وسألها:

«هل أنت على ما يرام؟»

«نعم، ولقد افتقدتك، واننى فى انتظار موعدنا المتفق عليه بعد ظهر اليوم... يالهى... الكعكة...»

وأسرعت مندفعة نحو الفرن ثم قالت:

«أدركتها فى الوقت المناسب، وكل شئ على ما يرام، أصبح فى بيتنا موسيقى الآن، حضر تونى ومعه فونوغراف.»

ووضعت الكعكة فوق المائدة وأسرعت نحو الفونوغراف قائلة:

«هل أقوم بتشغيل احدى الأسطوانات؟ انها فكرة مارك؟ أليس هذا تصرفا لطيفا منهم؟ البيت يسوده السكون أثناء غيابك، وتلك هى الاسطوانة التى أفضلها، ان فيها ايقاعا مثيرا يجعلنى أرغب فى... أوه.... البطاطا يكاد ماؤها يجف فوق النار...»

وقامت باعداد المائدة لطعام الغداء وهى مازالت مضطربة قليلا بفعل الانفعال العاطفى الشديد الذى تمتلكها، وجلست تنظر اليه صامته، ثم سألته عن رأيه فى الكعكة التى صنعتها، فقال لها انها لذيذة عدا بعض الأجزاء التى احترقت، وسألها اذا كان تونى أمضى هنا وقتا طويلا فقالت انه مكث ساعة تقريبا قام خلالها بالتوصيلات الكهربائية وتناول القهوة.

فهز رأسه بدون أن يعقب بشئ. ولزم الصمت أكثر من عادته عندما توجها الى السيارة فى طريقهما الى ملجأ الطيور. ولم يقل شيئا عن الفونوغراف وتذكرت الحوار الذى دار بينهما ليلة عرسهما هودريك وولف . وسرت رعدة فى جسمها وهى تتساءل اذا كان باستطاعة آدم أن يدخل تلك الغرفة متجاهلا وجود البيانو.

وطلب منها ادم ان تمسك بمقعد السيارة لان الطريق وعر نوعا ما فى هذه البقعة، و اخذت السيارة تشق طريقها لتخرج من منطقة الغابة الى منطقة صخرية وعرة، ثم تدلف الى ممر ضيق ملتو وسط الغابة. وتوقف آدم بالسيارة وطلب منها النزول لانهما سيجتازان

بقية الطريق سيرا على الاقدام حتى وصلا الى نقطة طلب عندما آدم ان تلزم الصمت، ورأت ملجأ الطيور المغطى جيدا بالاغصان وأوراق الشجر وبطريقة مموهة، وقد أطل على البحيرة الممتدة فى شكل يشبه نصف القمر.

وأمسك بيدها يساعدها على الصعود، ودلفت الى ملجأ الطيور فى هدوء كأنها تؤدى طقوسا. ووسط الظلام راحت تتلفت بحثا عن آدم، وقالت انها لا تكاد ترى شيئا- فطلب منها ان تمسك بنظارة الميدان، وتضبط البعد حتى يتضح المنظر الذى امامها، وذلك ريثما يقوم هو بتغير الفيلم فى آلة التصوير. وصاحت فى دهشة اعتذرت عنها فى الحال قائلة:

«الطائر الام يتجه نحو الماء، ما اجمل هذه الطيور»

وبدأت تفكر فى تلك الانواع الأخرى من الطيور والحيوانات النادرة،التى تكاد تنقرض بسبب المذابح التى تعرضت لها فى رحلات الصيد على مدى قرون. انقرضت انواع كثيرة، وهناك أنواع كثيرة أخرى فى طريقها الى الانقراض ما لم تبذل جهود لانقاذها قبل فوات الاوان. حدثها آدم عن طيور كثيرة تقطن أمريكا الشمالية، وتم احصاء خمسين نوعا منها، وقلة من هذه الانواع تعد نادرة وجميلة، ومن بينها الطائران اللذان ترقبهما امامها.

لايمكن أن توصف الامسية التى أمضياها مع هودريك و ولف بأنها حققت نجاحا كبيرا. ولاحظت فى البداية أن والدو ليس مجرد

خادم عادى يعمل لدى هودريك.

ولاحظت روبين مدى فخامة تلك الفيلا وما بها من أثاث ثمين، وسجاد وستائر ومفروشات، وكذلك البيانو الذى يحتل مكانا بارزا فى الفيلا ويشرف على البحر، لكنها أحست بأن البيت الذى يجمع بينهما وبين أدم أكثر ملاءمة للمعيشة.

ونظرت الى بيانو، ثم رمقت آدم لتتبين رد الفعل لديه وهو يرى غطاء البيانو مفتوحا أمامه، وكراسات القطع الموسيقية مبعثرة بالقرب منه، ولكنه ظل جامدا ووجهه لا ينم عن أى انطباع. ولاحظ هودريك نظرات روبين فسألها:

«هل تعزفين ياعزيزتى؟»

فردت عليه بصعوبة:

«قليلا.»

فقال لها وهو يبتسم:

«اذا البيانو طوع أمرك ان شئت.»

فهزت رأسها وهى تقول:

«كلا، القطع التى أعزفها خاصة بالأطفال.»

وقال لها آدم فجأة:

«لم أكن أعرف أنك تعزفين، لماذا لم تبلغينى بذلك؟»

وقال له هودريك وهو يلاطفه:

«سوف تندهش يا صديقى للمنجزات التى تحققها زوجتك بمضى الوقت، فقد تبين لى أن النساء صنفان: صنف لا يستطيع أن ينجز ولكنه يعتقد أنه يستطيع، وصنف يستطيع ولكنه يترك مواهبه تدفن نتيجة للضعف الأنثوى.»

فقالت له وقد شعرت فجأة بالغيظ لكلامه:

«ولكن ماذا عن الصنف الوسط بين هذين الصيفين؟»

ان أحدا لايستطيع أن يجرى مثل هذا التقسيم ويجعل الخط الفاصل بين القسمين نهائيا.

«هذا الصنف الوسط لاقيمة له، لأنه قانع بأن يظل خاملا فاتر الهمة كالأبقار.»

فالتقطت روبين أنفاسها بحدة، وأعربت عن استنكارها لهذا الكلام وقالت له:

«من الواضح أنه ليست لديك دراية كبيرة بالنساء.»

فضحك ومد يديه قائلا:

«أرأيت! المرء اذا واجههن بالتحدى سرعان ما ينفعلن ويغضبن، مثلما تفعلين أنت الآن بدلا من الاحتفاظ بهدوء الاعصاب واستخدام الذكاء فى الاعداد لشن هجوم ساحق.»

واقترب منها وقال لها:

«أرجو أن تسامحينى يا عزيزتى، لأننى لاأستطيع أن أقاوم رغبتى فى تحدى النساء، وللأسف عثرت مرة على واحدة تفوقنى فى القدرة على الجدل التحليلى وبرود الاعصاب، وكنت أرغب فى الزواج منها ولكنها لم تقبل.»

وسحب انفاسه وهو يضيف قوله:

«ولهذا فاننى أسعى للانتقام من كل امرأة أقابلها، فالامر اذا يصبح بسيطا، كما رأيت، عندما يعرف المرء السبب.»

سألته وقد شعرت بالارتياح لأن النقاش تحول الى موضوع آخر غير الموسيقى.

«ألاتشعر بالوحدة هنا؟ ألاتفتقر الى رفيق لتشحذ معه موهبتك فى الجدل التحليلى؟»

«كلا، لاحاجة بى الى هذا، فانا أعود الى أروبا مرة كل عام، وأزور رفاقى وأصدقائى القدامى، ولكننى لا أفتقد شيئا فى هذا العالم. فقد اعتدت أن أكون مكتفيا ذاتيا فقالت روبين:

«ولكن ألا يعنى هذا، ضمنا، أن يعزل الانسان نفسه عن أى صدام مع أقرانه، وهو الصدام الذى يؤدى على الاقل وظيفة منشطة؟»

فقال آدم فى هدوء:

«الصدام يدمر أيضا.»

وسادت فترة هدوء قصيرة قالت روبين بعدما فى رقة: «يجب أن نتعلم كيف نصل الى الاتفاق ونحقق الحلول الوسط.»

فرد عليها هودريك قائلا: «انه الطريقة الازلية وغير المرضية للخروج من المشكلات... من الذى قال يوما ان كل فائدة ومتعة يجنيها الانسان، وكل فضيلة وتصرف حكيم انما جميعا تقوم على الاتفاق والحل الوسط؟»

ثم استأذنها هودريك فى أن يناقش مع آدم كتابين قديمين يريد معرفة رأيه فيهما، وقال لها:

«أرجو أن تأخذى حريتك فى تسلية نفسك كيفما شئت.»

وأغلقا الباب، فراحت روبين تتجول فى أرجاء البيت، وعندما وصلت الى البيانو توقفت هنيهة ولكنها ابتعدت عنه ولم تسمح لنفسها بأن تستبد بها تلك الافكار التى تتداعى تلقائيا عند مشاهدة البيانو، ولفت نظرها جهاز مكبر للصوت ستيريو فونيك وبجواره مكتبة للاسطوانات تحوى أوبرات كاملة. وأخرجت بعضها من المكتبة وراحت تتفحصها. لهودريك ذوق موسيقى رفيع يختلف عن ذوقها وأوشكت أن تعيد الاسطوانات الى مكانها، لكنها لمحت فجأة اسطوانة معينة شدت انتباهها فأخذتها قرب الضوء لتتفحصها بدقة.

الصورة المطبوعة على الاسطوانة صورة آدم الفنان عندما كان بعيدا عن تلك الجزيرة النائية وسط المحيط الهادى.

وكانت على وشك أن تضع الاسطوانة فى الفونوغراف للاستماع اليها، فلابد أن تستمع الى آدم يعزف، لكنها سمعت أصواتا فأسرعت باعادة الاسطوانة الى المكتبة، واتجهت كالمحموم ناحية الباب المفتوح، تأمل ألا يكشف احمرار وجهها عن شعورها بالذنب، ترى كيف سيكون رد فعله لو أنه سمع تلك الموسيقى؟

وقال لها هودريك وهو يداعبها فى دهاء:

«قاومت اذا اغراء هذا البيانو الجميل لانك مثل زوجك لاتتقبلين الحجج والوقائع المنطقية.»

فقال آدم فى هدوء غريب:

«لااعتراض لدى على قيام روبين بالعزف اذا شاءت. واذا كنت لم أعد أعزف فذلك ليس معناه أن كل بيانو فى العالم يجب أن يصمت.»

وتحرك آدم الى الأمام وقد ظهر بريق غريب فى عينيه وأضاف قائلا:

«فى رأيى أننى يجب أن أعرف مدى مقدرة زوجتى.»

فصاح هودريك وهو يسحب مقعد البيانو:

«أحسنت، هذا هو شعورى، أرجو أ، تجلسى على المقعد

ياعزيزتى، ويمكنك ضبط ارتفاعه وفقا لرغبتك.»

واحست روبين بالجو المتوتر واعتذرت عن العزف قائلة انها لاتريد.

فرد عليها هودريك وهو يهز رأسه بطريقة تهكمية وقال:

«كلهن على هذا النحو، انها لفرصة رائعة تتاح لك، فمن أفضل من فاند يستطيع أن يقوم بدور الناقد لعزفك؟»

وردت عليه قائلة:

«أوافقك الرأى، لكننى لا أطمح أن أصبح عازفة، ولم يكن عندى مثل هذا الطموح من قبل، وأنا أعزف لمجرد التسلية، لتسلية نفسى، وليس بصورة دائمة.

ونظر اليها هودريك لحظة، ثم حرك رأسه فى أسف وتنهد قائلا:

«كما تريدين، ياعزيزتى، ولكن اذا لم تسمعينا قليلا من الموسيقى فيجب علينا أن نلجأ الى الوسائل الآلية لتحيق هذا الغرض.»

وتحرك هودريك ناحية مكتبة الاسطوانات فأدركت روبين بسرعة نواياه وتحركت فجأة نحو البيانو، وأخذت تقلب صفحات كراسة الافتتاحيات الموسيقية وقالت:

«هناك افتتاحية بسيطة أعرفها، وسبق لى أن درستها، ولا أدرى ما اذا كنت حتى الآن قادرة على عزفها.»

ونظرت من طرف عينها الى هودريك، وتأكدت أنها حققت الغرض الذى سعت اليه بمنعه من تشغيل أى اسطوانات، فعاد هودريك وأحضر صندوق سيجار فى شكل سلحفاة، وقدم سيجارا لآدم. وكانت مفاتيح البيانو باردة وتتجاوب معها بصعوبة وهى تعزف مما زاد من توترها العصبى، وتمتمت فى تململ، وبدأت تعزف من جديد وهى تحاول أن تعيد نفسها الى أيام الدراسة، عندما كانت تعزف بمستوى معين من المرونة، وأخذت تستعيد كلمات مدرس الموسيقى وهو يوجهها فى صبر، ولكنها برغم ذلك أخطأت مما سبب لها ألما شديدا، فنهضت واعتذرت بأنها ابتعدت لفترة طويلة عن التمرين.

وقال لها هودريك:

«بذلت جهدا رائعا.»

وسادت فترة صمت أحست روبين بعدها بآدم يضع يده على كتفها، وهو يوضح لها فى كلمات معدودة مواطن الصواب والخطأ فى عزفها، وسألها فى تهكم عمن علمها طريقة استخدام اصابعها فدافعت عن نفسها قائلة:

«كانت آخر مرة عزفت فيها منذ عامين، وقلت لك اننى سأعزف بطريقة مزعزعة.»

واستدارت لتنظر اليه وهى تضيف قائلة:

«واعقدت أنك ستشرح لى مواطن الخطأ فى عزفى.»

وانتظرت ان يستجيب الى طلبها بأن يشرح لها فى عزفى.»

وانتظرت أن يستجيب الى طلبها بأن يشرح لها فى استضافة ولكن أملها خاب عندما اغلق كراس الافتتاحيات الموسيقية وقال لها فى برود:

«لا اظن ذلك هيا بنا، تأخر بنا الوقت.»

وتغلب صوته الحازم على كلمات الاحتجاج التى صدرت من هودريك بسبب اعتزامهما انهاء الزيارة فجأة فقدما التحية والشكر الى هودريك بطريقة سريعة، بدت وكأنها تفتقر الى اللياقة، ثم أخذا السيارة عائدين الى البيت وسط ظلام الليل.

وعندما اقتربا من البيت توقف، وراحت روبين تختلس النظرات اليه، وتوصلت فجأة الى قرار، وقالت له فى نعومة:

«أبلغنى هودريك بأن فى استطاعتى الحضور الى الفيلا فى أى وقت فى الفترة ما بين العاشرة والظهر للتدريب على العزف ان شئت، فاذا قبلت دعوته هل تراك تقوم؟»

«هل تقصدين أن أقوم باعطائك دروسا؟»

«نعم.»

«كلا، أنصتى الى يا روبين...»

واعتدل ناحيتها وقد ارتسمت على وجهه تعبرات باردة وأضاف:

«أدرك تماما مؤامرات هودريك الصغيرة، وليست مستعدا لأن

أصبح موضوعا لتجاربه فى مجال العودة الى العزف، فى استطاعتك الذهاب ان شئت، فانا أعلم أنه لا يوجد فى الجزيرة سوى القليل الذى تستمتع به أى فتاة. لذلك فإن بإمكانك الاستمتاع بالقليل المتوفر، ولكن لا تضعينى فى الحسبان، ولا تشركينى فى هذا الموضوع.»

وتملكها اليأس والضيق بسبب هذا العناد من جانبه حيث قال لها فجأة:

«هل تحدث معك هودريك فى هذا الموضوع؟»

«تحدث معى؟»

وتباعدت شفتاها ثم ضمتهما وأحست بجفاف فى حلقها وقالت:

«كلا، وكيف يجرؤ على هذا؟ لم أتحدث معه اطلاقا فى غيبتك، ولكن...»

قررت أن تكون صادقة معه فأضافت قائلة:

«نعم ادركت ما كان يجول فى خاطره، انه يعتقد أنه اذا أمكن استدراجك مرة للمس مفاتيح البيانو فقد تجد أن...»

أدركت ألا فائدة ترجى من وراء اصرارها ومثابرتها، برغم أنها واثقة تماما من أن هودريك على صواب وأن آدم مخطئ بابعاد الموسيقى عن حياته الى الابد، حتى لو أنه لن يعود لاحياء الحفلات الموسيقية مرة أخرى.

www.elromancia.com

وهمست قائلة له:

«أسفة،لكننى لا أستطيع كبت مشاعرى أو منع نفسى من الاحساس بالدهشة، اذ كيف يمكنك أن تتأكد مالم... مالم تثبت لنفسك تماما أنه لا فائدة، وأن الأمر انتهى.»

وتملكه شعور مفاجئ بالغضب وقد هرب الدم من عروقه وقال لها:

«لست فى حاجة الى برهان أيتها الحمقاء الصغيرة! كيف تستطعين أنت وكيف يستطيع وولف أو أى شخص آخر أن يفهم ما أشعر به؟ وكيف لك أن تدركى درجة الكمال المطلوب توافرها؟ اليدان أداة البراعة الفنية، ويجب أن تخلو كل منها من اى نقص أو عيب؟ ولم تعد يداى خاليتين من العيوب، وستظلان هكذا على الدوام، لقد أحدثت الجروح اثرا فيهما وتلك الاثار تحول دون تحقيق الكمال.

والآن دعك من هذا الموضوع، وأعلمى اننى لا أريد شفقة أو عطفا من احد بما فى ذلك أنت!»

بحركة غاضبة أطفا أنوار السيارة ونزل منها، وتلاشى وقع قدميه وهو متجه الى البيت وكأنه لا يعبأ اذا كانت تتبعه أو تبقى حيث هى، تنهدت فى لوعة ودفنت وجهها فى كفيها وهتف قلبها: ولكننى لا أريد أن أمنحك شفقة أو عطفا، وانما أريد اعطاءك السعادة والحب.

٧ -عواصف الغيرة

أسرعت نحوه للترحيب به عندما سمعت صوت السيارة، ولاحظت القلق فى عينه، وبدأت ابتسامتها تتلاشى فى قلق لما به، وكانه لم يسمع سوالها:

«مات واحد من الطيور.»

ودلف الى داخل البيت عابرا أمامها.

«يبدو أن أحد الفرخين كان ضعيف البنية وأصابه بعد الظهر نوع من التشنج والاضطراب العنف، فأسرع الأبوان بازاحته خارج العش، فأخذ يرفرف ويعود الى السكون ثم يرفرف مرة أخرى قاوم

www.elromancia.com

فى ضعف الى أن همد وسكنت حركته وفقد الحياة.»

وقالت له وقد أفزعتها حالة الحزن والأسى التى انتابته:

«هل كان فى امكانك ان تفعل شيئا؟»

فضغط شفتيه وقال:

«مستحيل أن نفعل أى شئ بالقرب من هذا العش، تعرفين تلك الطيور فضلا عما سوف تحدثه من جراح واصابات عندما تهاجم، هناك مخاطرة هائلة بأن تهجر الموقع، ويتم القضاء على كل شئ.»

«كم تثير هذه الخواطر الفزع!»

وذهبت لاعداد طعام العشاء.

وتناول طعامه فى صمت، وذهنه مشغول، ثم اتجه الى مكتبه وبدأ فى تدوين ملاحظاته.

قالت له مؤاسية:

«آدم، تناسى ما حدث لبعض الوقت، وتعال نتمشى قليلاً ناحية الشاطئ.»

فرفع كتفيه وهو يتنهد وقال:

«ليست لى رغبة الآن فى أن أتمشى، ويمكنك أن تتمشى وحدك ان شئت.»

فقالت بلهجة يائسة:

«ولكننى أريد التحدث اليك... أريد...»

فرد عليها بخشونة:

«لا... بل أفضل البقاء وحدى.»

فقالت له فى برود:

«حسنا، ان كنت تريد هذا، فأنى أوافقك.»

ولم يكن أمامها فى وحدتها تلك سوى الالتجاء الى تونى ليسرى عنها.

ومن الغريب أن تلك الصداقة لم يشبها أى عامل شخصى، من ناحية المشاعر روبين على الاقل، ولم تخف عن آدم زيارات تونى لها، لكنه كان يقابل كلامها ببرود وبدون أن يعيرها اهتماما، الى أن حلت احدى الامسيات حين خرج عن بروده وصمته.

وقف آدم يراقبها وهى تجفف شعرها تحت أشعة الشمس الغاربة فى الشرفة، وعندما أمسكت بالمشط سألها فى هدوء:

«أرجو أن تدركى ما تفعلينه.»

فسقط المشط من يدها، وانحنت لتلتقطه وهى تسأله وقد لاحظت تعبيرا معينا فى قسمات وجهه:

«ماذا تعنى بهذا الكلام؟»

فرد عليها فى تعمد:

«أعنى أنه من الأفضل أن تبتعدى عن الصغير تونى ستيفنز.»

فضاقت عيناها وأخذت تمشط شعرها فى عصبية وقالت:

«هو يأتى الى، فماذا أفعل؟ هل أبلغه ألا يأتى الى البيت مرة أخرى؟»

فتنهد آدم وقال لها:

«الصبى مبتلى فى حياته، فلماذا تتوقعين وأنت الفتاة الوحيدة فى الجزيرة؟ أم أنك أصبحت على درجة شديدة من الافتقار الى الحس بحيث لا تدركين هذا؟»

فضحكت فى تكلف وقالت:

«هذا أمر مثير للضحك، هل أنت غيور؟»

«أيتها الحمقاء الصغيرة!»

ونهض واقفا وقد تملكته نوبة من الغضب الشديد، تفوق حالة الغضب التى استبدت به فى تلك الليلة بعد عودتهما من مأدبة العشاء فى فيلا هودريك وقال لها:

«هل هذا هو كل ما يستطيع خيالك أن يجنح اليه؟»

«أى خيال، أنا أفكر ولا أتخيل!»

«أتعرفين ماذا يكون عليه حال رجال بلا نساء يعيشون محتجزين فى جزيرة لعدة شهور، ثم تأتى من البحر فتاة صغيرة وتهبط فى الجزيرة، ما السبب الذى تظنين أننى تزوجتك من أجله؟»

فنهضت واقفة، وراحت تنظر الى الومضات الحمراء الصادرة من المحيط وقالت:

«لم أعر هذا الأمر أى اهتمام.»

«اذا حان الوقت الذى تبدئين التفكير فيه!»

قالها فى خشونة ودلف أمامها بدون أن ينظر اليها، وأخذ يبعد وهو فى طريقه الى الشاطئ مع الأشعة الأخيرة للشمس الغاربة.

وراح الشك يعتمل بسرعة فى نفسها مما جعلها تحس بالذنب.

ترى الى أى مدى أحب آدم ستيللا؟ كلا... الى أى مدى مازال يحبها؟ وأغلقت روبين عينيها وهى تحاول أن تمنع ذهنها من تخيل شكل تلك الفتاة التى لا تعرفها. أكانت شقراء أم سمراء؟ مديدة القامة أم قصيرة؟ وديعة أم مفعمة بالحيوية والنشاط؟ خجوله أم؟

وفجأة سمعت صوتا يناديها ويقول:

«جرت العادة العادة أن يخلع المرء حذاءه أولا!»

فتلفتت ناحية مصدر الصوت مرة وناحية قدميها اللتين وصلت اليهما المياه، ولاحظت أن تونى يقترب منها وهى جالسة على رمال الشاطئ فقالت له:

«كنت أحلم...»

وضحكت ونهضت لتبتعد عن مياه المد وخلعت خفيها.

www.elromancia.com

وقال لها تونى فى تودد:

«افتقدتك هذا الصباح، هل قررت الذهاب لمشاهدة الطيور بدلا من مصاحبتى؟»

«كلا... قررت أن أتمشى ناحية الطرف الآخر للجزيرة حتى أقطع وقت الفراغ.»

وسارت جنبا الى جنب مع تونى وهى تنظر الى آثار قدميه فوق رمال الشاطئ. الأمر سيكون أصعب بكثير مما تصورت. فكيف لها أن تمتنع عن رؤية تونى بدون أن تسبب له الالام أو تذكر له الحقيقة؟

وقال لها تونى:

«قلت انك كنت تريدين الذهاب الى الطرف الشمالى للجزيرة، وكان فى امكانى أن أذهب بك الى هناك، ويمكن أخذ سيارة جيب لثلاثة أميال، ثم يسير المرء على قدميه لأن الطريق شديد الوعورة هناك.»

وأطرق بضع لحظات ثم أضاف:

«علمت أن احد الفرخين قضى نحبه، هل رأيته؟»

«كلا، رأيت فقط أول فرخ يفقس من البيضة.»

«بدأنا نشعر بشوق لرؤية تلك الطيور.»

«ألم يتح لكم مشاهدتها حتى الآن؟»

فهز رأسه قائلا:

«هذا المكان محظور على كل سكان الجزيرة عدا آدم... وأنت طبعا.»

وتوقف ليقدم لها علبة سجائر وهو يقول انه أحضر تلك العلبة لأنه يعلم ان ما لديها من سجائر بدأ ينفد. فشكرته بحرارة، وتأثرت بتفكيره الناضج، ودعته للتدخين وجلست فوق كومة من الرمال، وعندما أشعل الولاعة أطفأها النسيم وأخفقت عدة محاولات فى هذا السبيل مما جعلها تضحك، وشاركها هو الضحك.

وأطرق، ثم جذب نفسا من سيجارته وقال:

«من المؤكد أن آدم رجل محظوظ.»

وكانت روبين ترسم بعض الاشكال بأصابعها فوق الرمال وفجأة قامت لتنفض الرمال عن يديها وقالت له:

«ليس آدم محظوظا تماما كما تعلم.»

«آسف، لم أقصد هذا المعنى، انما كنت أعنى...»

«أعلم هذا، هيا بنا نتسابق حتى الخليج.»

وأخذت تعدو وقد استبد بها مرح الشباب، وعادت بها الذكريات الى أيام طفولتها، وهى تعدو على شاطئ الجزيرة وتخيلت أباها واقفا أمامها يضحك ويلهث ويقر بفوزها. وفجأة زال عنها الوهم لأنها أدركت أن تونى تخطاها وسبقها. ثم توقفت وأطرقت هينهه وقالت لتونى:

«اعتقد اننى يجب ان أذهب للاغتسال وتغيير ملابسى.»

واتجهت الى المنزل وهى تتوجس خفية، وفعلا رأت آدم واقفا فى مدخل البيت، وعندما اقتربت دلف الى الدخل، فجرت قدميها فى تثاقل واضطراب واتجهت الى غرفة الجلوس لتجده جالسا فنبهته... الى وجودها لكنه رد عليها فى فتور.

فثارت مشاعر روبين وفقدت السيطرة على نفسها، وانفجرت قائلة:

«حقا... استمعت بالجولة فعلى الأقل أتيح لى أن أريح أعصابى وأن أضحك وأتصرف كالبشر بصحبة تونى ستيفنز، الذى بعد من ألطف من التقيت بهم ومن أكثرهم استقامة، ولكنك لن تستطيع ادراك مثل هذا وأنت ترتدى هذا القميص المصنوع من وبر الحيوان.»

وبدون أن تعبأ بالشرر المتطاير من عينيه راحت تضيف قائلة:

«انك ترتدى قميصا من الوبر بسبب ما فقدته، ولأن امراة خانتك، قلت لى اننى هربت، ربما أكون قد فعلت هذا، ولكننى لم أدع الذى حدث يقتل أى ضحكة أو عاطفة انسانية فى نفسى، لم لا تكون صادقا مع نفسك وتحدث تغيرا فى حياتك؟ لم تتزوجنى لكى تحمنى أو لأى سبب آخر من تلك الأسباب العقلانية الباردة التى ذكرتها لى، وانما تزوجتنى لارضاء أغراضك الملتوية، ولكى تنتقم مما فعلته هى بك.»

«اخرسى!»

وتقدم نحوها وهو يضغط قبضة يده فى محاولة للسيطرة على نفسه، وأضاف قوله:

«أيتها الحمقاء الصغيرة، انك لاتعرفين معنى ما تقولين، انك...»

«بل أعرف.»

ومدت ذقنها الى الأمام فى كبرياء وفى اصرار على عدم التراجع عن موقفها وأضافت قولها:

«هل تعجب لاهتمامى بتونى ستيفنز؟ وماذا هنا غير هذا؟ من هنا غيره؟ انه على الأقل شخص طبيعى وليس معقدا، وقلبه ينطوى على الحب لالمرارة، وهو ينظر الى كما لو كنت فى عنفوان الشباب والحيوية، بل ينظر الى كامرأة.»

«أيتها الحمقاء العمياء الصغيرة!»

وهرب الدم من وجهه وهو فى شدة التوتر حتى ظنت أنه سوف يضربها وأضاف قوله:

«تلك اذا هى الطريقة التى تسير بها الأمور، المساعدة التى قدمتها لك، رغم حاجتك الماسة اليها، لم تكن كافية، ولم تكن الناحية الشكلية لتؤدى الغرض، فأنت مثل كل النساء، يدفعك الغرور الى السعى للاستحواذ على كل شئ: الاعجاب واظهار الحب لك حتى لك حتى ولو كان يعوزه الاخلاص، انك فى حاجة الى أن تقدم لك عبارات الثناء والأعجاب.

وتوقف فجأة بينما دموعها تسيل على خديها، وأخذ يحاول تهدئتها والتخفيف عنها وقال لها:

«بحق السماء لا تبكى، فتلك ليست نهاية العالم.»

ولم ترد عليه أو تنظر اليه، وكانت دموعها المنهمرة هى الرد الوحيد، فأسرع بالخروج بحركة عصبية.

٨- إنه يحرك الجبال

كانت تلك أطول ليلة فى حياتها بالمقارنة طبعا بتلك الليلة المفزعة التى عاشتها بعد وفاة أبيها. وفى ذلك الحين كان هناك أنس تفضى اليهم بما فى نفسها ويخففون عنها، أما الآن فليس هناك من تستطيع أن تبثه لواعجها وأحزانها التى تكاد تمزقها. انها تسائل نفسها: كيف يمكن لها أن تحب هذا الرجل، وان تكرهه فى فى آن واحد فى حين أن قلبها يصرخ طلبا لكلمة حب واحدة منه؟

كان الوقت متأخرا جدا عندما سمعت وقع قدميه، ولكن وقع الأقدام لم يكن سوى اشارة لوجود شخص آخر غيرها فى المنزل يلفه السكون. وكانت تلك الليلة المظلمة التى غاب فيها القمر قد قاربت

www.elromancia.com

نهايتها عندما استسلمت أخيرا لنوم متقطع، استيقظت منه بعد أن عاشت حلما مفزعا. وبدأت تفيق وتحس بالسكون يخيم على البيت وكأن النهار لم يطلع بعد. ولم تكن أصوات الطيور وضوء الشمس الذى ملأ الدنيا من حولها الا لتزيد من احساسها بالكآبة والفراغ بين جدران البيت، وتبين لها أنها أصبحت وحيدة مرة أخرى.

ودخلت غرفة الجلوس، وأدركت أن آدم تناول افطاره ولكنه لم يتناول طعاما كثيرا، واعدت لنفسها فنجانا من القهوة. اليوم مازال أمامها طويلا وثقيلا بساعاته، ولم تتحمل التفكير فى الايام والاسابيع التى ستمر قبل أن تتمكن من ترك هذا المكان.

وعندما حان وقت الغداء لم تكن قد قررت بعد ما اذا كانت سوف تبقى فى البيت كى يجدها آدم عند عودته، ولكن القرار كان قد خرج من يدها عندما اكتشفت أن آدم أعد لنفسه بعض الطعام وأخذه معه. فاستشاطت غضبا وخرجت من البيت لا تلوى على شئ، واستمرت فى السير حتى تعبت قدماها وأصبحت الطريق غير صالحة للسير، وكانت الشمس قد مالت الى المغيب فأسرعت بالعودة لتحس بأنها حبيسة فى البيت فآدم لديه على الأقل عمل يؤديه فى ملجأ الطيور، اما هى فليس أمامها مكان تتجه اليه.

وعندما عاد أحست بحضوره، وأرادات أن تتحرك نحوه، ولكن عنادها منعها، وبدون مقدمات قال لها:

«أسف، تصرفت بطريقة غبية ليلة أمس.»

وتنهدت بطريقة تنم عما فى نفسها من ألم، وقالت له وهى تعد الاطباق على المائدة انها هى أيضا تفوهت بكلمات غير لائقة، وهى تأسف لهذا، ولكنها قالت وهى فى سورة الغضب لأن...لأن...

فجلس وقال لها انها ذكرت كل شئ بوضوح تام، وأن كلا منهما أبلغ رسالته الآخر، ولا داعى لاثارة الموضوع مرة أخرى.

فجلست وهى تتجنب النظر اليه وقالت له:

«أتعنى أنك سوف تتصرف فى المستقبل بطريقة متحضرة؟»

فوعدها بذلك، وبدأ يتناول طعامه بدون أن ينم سلوكه عما فى رأسه من أفكار.

وأخذت أفكارها وعواطفها تتذبذب بين نقيض، وتمنت لو أنها لم تر آدم أو تنزل الى شواطئ ألزينا، فالجزيرة كالسجن...

وبعد مضى ثلاثة أيام على هذا الحادث جلست روبين فى حالة من اللامبالاة تقلب فى السجلات الخاصة بملجأ الطيور، وفجأة ظهر هودريك وولف فى زيارة غير متوقعة، وقال لها انه أخذ يتسال عن سبب احتجابهما منذ فترة، وسألها وهى تقدم له القهوة اذا كان آدم رجلا غير اجتماعى.

وقدم لها هدية أحضرها معه وهو يقول انه اعتقد أنها تحب الحصول عليها.

أزاحت الأوراق الخارجية التى تغلف الهدية لتفاجأ بأنها عبارة

عن عبارة عن حافظة تحوى أربع اسطوانات احداها تلك الاسطوانة التى سبق أن رأتها فى مكتبة هودريك، وهى تحتوى على تلك المقطوعة التى عزفها آدم، فأمسكت بها بيدين ترتعشان، وقدمت الشكر لهودريك وقالت له:

«اتمنى أن أسمعه يعزف من جديد ولكن...»

فهز هودريك رأسه تعبيرا عن ادراكه لما تقصده وقال لها انه اعتقد أن تلك الاسطوانات قد تكون محظورة ولكنها ربما تثق فى كتمانه للسر، ونظر اليها نظرة ذات معنى وأضاف:

«لا أود أن أكون سببا فى حدوث شقاق، ولكننى علمت بأنك حصلت على الفونوغراف الخاص بمحطة الرصد:

«وكيف علمت بهذا؟»

«رأى والدو، تونى وهو يحمله فى سيارة الجيب، وتوقع أنه لابد أنه لابد أن يكون فى طريقه اليك.»

وبعد أن انتهى هودريك من احتساء القهوة انصرف، وعادت وحيدة من جديد. وراودتها الرغبة الملحة فى الاستماع الى تلك الاسطوانات، ولكنها لم تجرؤ على هذا، فليس الوقت ملائما، وحملت حافظة الاسطوانات لتخفيها وسط ملابسها كأنها معصية تؤرقها وتريد الاحتفاظ بها سرا.

ولزمت الصمت عندما رجع آدم لتناول الغداء، وأخذت تتصرف

فى فتور كالمعتاد، ولكن لولا انشغالها عندئذ باعداد المائدة للا حظت شيئا من الرقة فى عينيه الرماديتين وهو يتتبعها ببصره، وقال لها:

«أعتقد أن زائرا قدم الينا هذا الصباح.»

فأصابها الذعر ولكنها ردت قائلة:

«ونعم، وذكر حاجتنا الى بعض الاختلاط بالناس»

وقال لها انه توجه الى محطة الرصد لاحضار بعض السجائر وقابل هودريك فى طريق العودة، وعندئذ أحست روبين بالارتياح، فهودريك كتوم للسر كما يبدو، وسألها فجأة:

«أترغبين فى الذهاب الى ملجأ الطيور بعد ظهر اليوم؟»

وجعلتها المفاجأة تتردد فى الرد لحظات طويلة، فقال لها انه لاداعى لمجيئها ان لم تكن راغبة فى ذلك، فهو يعلم أن المكان هناك ضيق وغير مريح، واستاءت عندئذ لطريقته فى الغاء زيارتها بدون أن يمنحها فرصة لتقول رأيها بالقبول أو الاعتذار بطريقة تحفظ لها ماء وجهها، فردت عليه فى برود:

«أرغب فى السباحة بعد ظهر اليوم.»

«ولكن لا تفعلى ذلك بعد طعام الغداء مباشرة.»

فقالت وهى تضع الاطباق فى وعاء الغسل وتصب فوقها بعضا من مادة منظفة:

«كلا، سآخذ معى كتابا لأقرأ منه فصلين قبل السباحة.»

وبدلا من أن يعد نفسه للخروج، لاحظت أنه أخذ يساعدها فى تجفيف الاطباق، مما جعلها فى حيرة من أمره، وفجأة قال لها:

«سأذهب للسباحة معك قبل ان أعود الى ملجأ الطيور.»

وأحست عندئذ بأن الأمور أصبحت مشوشة من حولها، فصاحت صيحة احتجاج مكتومة فى داخلها. انها لاتستطيع احتمال تلك الصداقة الفاترة، والأفضل لها استمرار المعاملة الباردة بدلا من الصداقة المتأدبة، ففى داخله يمكن شخص عطوف كريم، وهى لايمكنها أن تصمد فى دفاعها وتتمسك بمسلك اللامبالاة نحوه. فردت عليه وهى تتعمد الظهور بمظهر عدم الاكتراث:

«حسنا، سيكون هذا تغييرا.»

وأخذت تعد الأشياء اللازمة للسباحة، وعندما وصلا الى الشاطئ سألها:

«أين الكتاب؟»

«أوه.. نسيته،لايهم.»

خرجا من الماء ولبس هو خفيه ووضع قميصه فوق كتفيه وانطلق سائرا فى طريق الشاطئ قبل أن تدرك هى مايحدث أمامها. وخلال الفترة التى أمضتها فى تجفيف نفسها والذهاب الى المنزل كان هو قد وصل الى ملجأ الطيور وكانت مشاعر الاستياء والغضب وراء

اندفاعها للعودة بسرعة الى البيت، ودلفت الى غرفة الجلوس تتنهد فى ألم، وتتساءل عما ستحمله الأيام القادمة.

وأخرجت الاسطوانات من مخبأها ووضعتها فوق السرير وراحت تتفحصها.

نحت جانبا اسطوانة الامبراطور لبيتهوفن، ففيها قوة شديدة لاتتلاءم مع مزاجها فى هذا الوقت، كما أنها ترددت أمام الاسطوانة العاطفية التى تحمل اسم بالاديس لشوبان، ثم أخرجت الاسطوانة التى تحوى كونسرتو رخمانينوف من عزف آدم فاند، انها من أعظم المقطوعات لأنها تخاطب القلب أولا. وأدارت تلك الأسطوانة وراحت تسبح بخيالها مع أنغامها العذبة حتى نسيت ما حولها، ولم تسمع الطرق على الباب أوالنداء، مما اضطره لأن يدخل قفزا من النافذة، ووجدته فجأة أمامها وهو فى سورة الغضب، ففهمت ما ينتويه وصاحت فيه:

«كلا، لاتفعل، ستحطمها...»

وأخذت تحاول تخليص الاسطوانة من بين أصابعه، وهو يقول لها، وقد هرب الدم من عروقه من شدة الغضب:

«من أين حصلت عليها؟ عليك اللعنة، كيف تجرؤين، وكيف يجرؤ وولف؟ انه...»

واستمرت فى محاولاتها لانتزاع الاسطوانة وهى تقول له:

«لا يمكنك أن تفعل هذا، انها أنت، انها...»

وأثناء ذلك اصطدم أحد مرفقيه بعينها بكل قوة فصرخت من الألم، انزعج آدم وقال :

«يا الهى، ماذا فعلت؟ دعينى أرى عينيك، اننى آسف يا صغيرتى.»

وكانت الاسطوانة قد سقطت على الارض، فصاحت فيه بشدة لئلا يقف فوقها، وراحت تبحث عن شئ تجفف به الدمع المنهمر من عينها المصابة. واختفى كل مالديه من غضب، وأخذ يتفحص عينها باهتمام وهو يقول لها:

«روبين... أرجوك أن تكفى عن البكاء، لم أقصد ايذاءك اننى...»

«اعرف هذا، كانت غلطتى ايضا، وكان يجب على أن... هل الاسطوانة سليمة؟»

«أوه، ملعونة هذه الاسطوانة، هل إصابتك شديدة؟ انك تعلمين أننى لم أتعمد ايذاءك.»

ثم سارت فى اتجاه الاسطوانه الملقاه على الارض فقال لها:

«الى اين انت ذاهبة؟»

لأنقذ تلك الاسطوانة.»

«عليك بنسيانها.»

ولكنها أخذت الاسطوانة ووضعتها فى الفونوغراف وقامت بتشغيله، ووقفت تنظر صوت الموسيقى الذى ملأ المكان، ودقات قلبها تتزايد وهى تنظر الى آدم ولم يتفوه بكلمة

بينما أخذت تشجعه وتقول له ان عليه بدلا من تدمير الاسطوانة أن يصنع المزيد من الاسطوانات، مما هو أفضل من تلك الاسطوانة، فقال لها وهو يرمقها:

«وهل يمكننى ذلك، من قال هذا؟»

«أنا أقول هذا.»

وأخذت شهيقا عميقا ولم تتردد، لأنها أدركت أن تلك هى الفرصة المناسبة التى قد لاتتكرر وأضافت تقول:

«ولم لا تحاول؟»

«انها ليست بالسهولة التى تظنينها.»

«أعلم هذا، ولكن لابد من المحاولة.»

ونظرت الى عينيه الرماديتين وهى تقول:

«آدم أنا أحبك..وهذه هى الطريقة التى أعبر لك بها.»

«حقا؟»

فقالت له ردا على سؤاله

«الى أبعد الحدود.»

وضحك فى رقة وهو يقول:

«بهذه السرعة؟ ولكن ماشأن هذا بمقدرتى على استئناف عملى ومهنتى؟»

«لأننى أعرف ما تشعر أنت به، العقبة هى خوفك ألا تجد،انك تبحث عن الكمال وحده وتريد أن تمنحه، ولكن هذا سوف يتحقق ان أنت حاولت، وستكون أعظم من ذى قبل لأنك عانيت من أجله.»

ومضت تقول فى حماسة شديدة:

«الا يمان يحرك الجبال ويحقق أى شئ، فهل تتمسك يا آدم بالايمان؟ عدنى بهذا أرجوك.»

وكانت الغرفة ساكنة وهى تنتظر رده ثم تنهدت وسمعته يقول لها:

«حسنا سأحاول من أجلك ومن أجل ايمانك.»

٩ - عقد من الزهور

لم يتزعزع ايمان روبين على الاطلاق خلال الاسابيع التالية، وهى الاسابيع التى عاشتها فى قمة السعادة، وبرغم أن آدم كان يبدو عليه مظهر الحذر الغامض، وهو ما لوحظ عليه صباح اليوم الذى توجها فيه الى فيلا هودريك بالسيارة، عندما طلبت روبين من هودريك مفتاح البيانو. ورد عليها هودريك عندئذ فى دهشة كأنه لم يكن يتوقع مثل هذا الطلب قائلا:

«ولكنه لم يكن مغلقا فى أى وقت من الاوقات، وأنت تعلمين هذا..هل قررت التدريب على عزف تلك الافتتاحية التى علاها بعض الصدأ؟»

ولم تنجح روبين فى اخفاء مدى سعادتها ورغبتها فى أن تغنى للعالم كله فى ابتهاج، فردت عليه فى رقة:

www.elromancia.com

«سوف يتولى آدم مهمة ازالة الصدأ هذه نيابة عنى.»

ولم يغب عن هودريك المعنى الذى تقصده، فصاح مبتهجا وأمسك بيدى آدم محييا اياه، وقال انهما لو أبلغاه مقدما كان كلف والدو بضبط درجة النغم فى البيانو، ولكنه سيفعل ذلك رغم هذا.

وأبدت روبين تشككها فى رحلة صيد السمك التى تم الاعداد للقيام بها هذا الصباح، ولكن هودريك أكد لها ان هذه الرحله تتم عادة بقارب خاص وقال انه قد يواتيها الحظ فتصطاد سمكة طيبة مما سيغتبط له زوجها.

فقال ادم فى جفاف:

«سأغتبط فعلا.»

وأدركت روبين أن آدم يشعر بالمؤامرة التى حيكت لتركه بمفرده حتى يقوم بالتجارب الاولى الحيوية التى يتوقف عليها الشئ الكثير.

وراحت تتساءل بينها وبين نفسها فى قلق عما اذا كانت يداه سوف تتجاوبان، أم أنها سترجع من تلك الرحلة لتجد رجلا متقلب المزاج خاب أمله، وأصبح فى حالة أشد مرارة من ذى قبل؟

ظل هذا السؤال يراودها طوال الجولة البحرية التى استغرقت ساعتين فى القارب ان آدم يجب أن يعود للعزف من جديد.

وما أن وصلت روبين هى وهودريك الى الفيلا حتى انتابتها حالة من الصمت المشوب بالقلق، لأنهما لم يسمعا صوت البيانو، ترى ه

مازال آدم فى اليلا؟ وهل تمكن من...؟ وأخذت تبلل شفتيها وهى تتحرك الى الداخل.

كان آدم واقفا أمام النافذة وظهره نحوها، وعندما نادته فى قلق رد عليها بدون أن يتحرك:

«لاتوجهى الى الآن أى أسئلة.»

والتقطت أنفاسها وهى ترقب وجهه الشاحب، وعندما التقت عيناه بعينيها لاحظت ابتسامته المصطنعة المشوبة بالتوتر، فسألته:

«لم تخفق أمام البيانو فى أى حال.»

وربت على يديها بطريقة مطمئنة، وتركها لكى يحيى هودريك. وقالت روبين لنفسها انه لو كانت نتيجة تلك التجربة محزنة لما بقى فى انتظار عودتهما ولكان رد فعل آدم مختلفا. والى جانب هذا مرت ستة أشهر منذ اصابته، مما جعله يبتعد عن التدرب طوال هذه الفترة، حتى لو لم يكن قد أصيب، فابتعاده هذا خسارة كبيرة. سوف يتعين عليها أن تتحلى بالصبر، ولكن هل يصبر آدم أيضا؟»

وتم الاتفاق على أن يتدرب آدم كل صباح على العزف بينما تعنى روبين اثناء ذلك بعملية تسجيل الملاحظات والتقاط الصور فى ملجأ الطيور.

وعندما عادا الى البيت دلفت روبين الى الداخل وأحضرت آلة التصوير، وعادت تتخذ مكانها من جديد فى سيارة الجيب.

وكانت روبين مازالت قلقة فسألته عن تجربته الاولى أمام البيانو

فقال لها:

«أتحدث عنك أنت... قولى لى يا روبين كم تحبيننى، وكم تحبين آدم فاند الذى لا تعرفينه بالمرة؟»

«وكيف لى ألا أعرفك، أو أن أفضل بينك وبين فاند؟ لاأفهم ما تقصده.»

«حقا؟ ربما بدا ما سأقوله لك كأنه نوع من الغرور، عرفت أنك لاتعرفين الجانب الآخر من شخصيتى... اننى أكون كالأعمى والمرائى ان أنا تظاهرت بأن فاند هو مجرد اسم وليس امتدادا لى. فأنا باعتبارى آدم فاند أتلقى الكثير من الاعجاب والتقدير، وهناك الكثيرات من الفتيات من بين جمهورى تتملكهن حالة عبادة البطل فى نظراتهن الى، كما ترسم صورتى فوق أحزمة المراهقين، أما آدم غرانت فان قصته تختلف كثيرا.»

فقالت له وهى تداعبه:

«وكم من القلوب حطمت؟»

«لاشئ على ما أعتقد.»

«بل أراهن عشرات القلوب، فعازف البيانو العظيم يجب أن يكون مديد القامة ووسيما مغترا بنفسه وفى سن الرجولة، لا مسنا بدينا سريع الغضب.»

فابتسم ولكن بغير ابتهاج وسألها:

«ولكن أى من تلك الصفات يجتذبك أنت؟ هذا هو ما يقلقنى.»

«أتعنى أننى تنابنى حالة الرغبة فى عبادة البطل تجاه فاند. ولكن هناك حقيقة نسيتها يا سيد غرانت، فأنا لم أتزوج فاند.»

فأطرق قليلا ثم قال لها:

«أعلم، ولكننى أود أن أكون صريحا معك.»

«وأنا كذلك، ألاتعتقد أن عبادة البطل لامكان لها فى جزيرة صغيرة، ليس فيها عقل يعرف أو عين ترى أو شخص يضع حزاما عليه صورة البطل، أو الشخص الوحيد الذى يشار اليه بالبنان؟ أوه يا آدم...»

وتنهدت قائلة:

«أنا فعلا أشعر بعبادة البطل نحو فاند، ولكننى أحبك...»

فى حزم وتهكم قال:

«هذا ما كنت أقصده عندما تحدثت اليك عن قدرتى على تخيل ما قد يحدث.»

«وهل هناك عيب فى التخيل؟»

«كلا، لكن لدى عمل يجب أن أؤديه هنا، ولايمكننى أن أؤدى عملا وأطارحك الغرام فى آن واحد.»

فتظاهرت بأنها لم تسمع ملاحظته وقالت له:

www.elromancia.com

«لم يسبق لك أن شرحت لى كيف جئت الى هذه الجزيرة.»

«السير جوزيف هاغل أحد العلماء فى «جمعية أبحاث الطيور» صديق قديم لأمى، وقد علمت الجمعية أن طائرالفرنوق شوهد هنا فى الجزيرة، فقررت ارسال شخص لاجراء مسح عن تلك الطيور، وكان ذلك عندما وقع لى الحادث، ورأى السير جوزيف أن هذا يتيح لى قضاء فترة النقاهة بصورة ملائمة.»

وتردد قليلا ثم أضاف قوله:

«كنت أعتزم أن أفعل أشياء أخرى، وأقضى شهرين فى جزر الرأس الاخضر حيث كان أحد أصدقائى يمتلك فيلا، وكانت ستيللا سترافقنى بعد زواجنا، الا أنها قررت فى آخر لحظة ضرورة تأجيل الزواج. وقد جعلنى هذا فى أشد حالات الغضب، مما جعلها ترجئ ابلاغى بحقيقة نواياها الى ما بعد رحيلى، فقد وصلنى خطابها الذى تبلغنى فيه بفسخ خطبتنا قبل يوم من وصولك الى الجزيرة.»

ولم يكن لدى روبين ما تقوله تعقيبا على هذا، ولكنها كانت تحس بالسعادة لأنه أفضى اليها بأسراره، وهو ما شجعها على أن تطرح السؤال الذى يشغل بالها منذ مغادرتهما فيلا هودريك، وأخذت نفسا عميقا وقالت فى بطء:

«آدم، أرجوك ألاتعود الى حالة البرود واللامبالاة التى كنت فيها من قبل، ولكن الامر يهمنى جدا، هل عزفت على البيانو صباح اليوم؟»

«نعم.»

«وماذا عزفت؟»

«السلم الموسيقى.»

«السلم الموسيقى فقط؟»

«نعم.»

وأضاف يقول:

«وسأظل أعرف السلم الموسيقى غدا وبعد غد، وبعد بعد غد و....»

وتنهدت ثم سألته:

«ومتى تعزف ألحانا؟»

«ربما عما قريب، وربما فيما بعد، الأمر متروك للظروف.»

وأضاف قوله:

«عليك أن تتحلى بالصبر فى انتظار اليوم الذى أتطلع أنا أيضا اليه.»

«ومتى ستأتى هذا اليوم؟»

وتركها قائلا:

«انه اليوم الذى أطلب منك فيه عدم ترك الغرفة أثناء قيامى

بالعزف روبين يجب أن تقنعى بهذا تتحلى بالصبر.»

ومر أسبوعان قبل أن يطلب آدم من روبين أن تبقى وهى تهم بتركه وحده مع البيانو.

ووقفت تتطلع من النافذة فى توتر وترقب هودريك و والدو وهما يتجولان فى حديقة الفيلا، والشمس تملأ المكان والنسيم يداعبها، وراقبت آدم وهو يجلس على مقعد البيانو. ولم يتحرك لبضع لحظات، ثم أخذ يحرك أصابعه ورفع يديه وهوى بهما فوق مفاتيح البيانو.

لم يعد هناك سلم موسيقى الآن، وانما أخذت الألحان العذبة التى تأخذ بمجامع القلب تنساب، وكأنها تؤدى خصيصا من أجل روبين وحدها. وبدا لها كأن الزمان والمكان لم يعد لهما وجود، ولم يعد هناك سوى الموسيقى التى تملك عليها حواسها وتنساب الى كل خلية منها.

«آدم أصبح يعزف من جديد»

قالت هذه العبارة بدون أن يصدر عنها أى صوت... وانتهى آدم من العزف وأمال يديه الى جانبيه قائلا لها:

«كانت هذه مهداة اليك.»

«أوه... آدم...»

ولاتملك الكلمات التى تعبر بها عن مدى سعادتها، الى أن سمعا

صوت سعال للتنبيه والاعتذار قادما من اتجاه النافذة وقال هودريك بجفاف:

«حسنا... هل مسموح لنا أن نصفق ابتهاجا؟»

فنهض آدم واقفا وهو يقول:

«ليس بعد.»

فصاح هودريك المسن:

«ولكن كان هذا أكثر من رائع، هل تسمح لى على الاقل أن أهنئك؟»

فهز آدم رأسه قائلا:

«كان هذا أفضل مما أفضل مما كنت أظن.»

فهمست روبين قائلة:

«كان حقا اكثر من رائع.»

فابتسم فى ضعف وقال لها:

«لم يكن كذلك ياصغيرتى، فما زال العزف فيه بعض التوتر.»

ومد أصابع يده اليمنى وراح يثنيها عدة مرات وأضاف قوله:

«ولكن التوتر خف بعض الشئ منذ يوم أو نحو ذلك.»

وقال هودريك:

«ربما يفيدك التدليك.»

«ربما.»

ونظر آدم الى روبين وتفوه بالرد الذى كانت تتوق اليه وقال:

«أعتقد أن فى امكانى أن أعود للعزف من جديد.»

وتحدث هودريك فقال:

«سوف نفتقدكما بكل تأكد.»

وفى غرفة الاستراحة الكبيرة فى محطة الرصد احتشد سكان الجزيرة القلائل المعدودون الاحتفال بتوديع آدم و روبين، التى أسفت لقرب رحيلها، فغدا سيصل القارب الذى كانت تنتظره من قبل وهى على أحر من الجمر. والآن مرت تلك الأسابيع التى بدأت باليأس والهموم وانتهت بالسعادة.

واقترحت عليه روبين أن يعزف لسكان الجزيرة فهذا هو آخر يوم لهما فى ألزينا، فاستجاب لها. وفى فيلا هودريك أحتشد سكان الجزيرة القلائل، وعزف آدم أمام الجمهور لأول مرة منذ ستة أشهر، واستمر يعزف عدة منوعات لمدة ساعة، قوبل بعدها بعاصفة من التصفيق رغم أن ألحانه لم تصل الى آذان سامعيه، وأخذ الجميع ينشدون أحد الأناشيد، ورددوا النشيد نفسه عند توديعهما وهما يستقلان القارب للرحيل فى اليوم التالى.

وتقابل آدم و روبين مع وفد علماء الطير الذين أتوا فى القارب

لقضاء بعض الوقت فى الجزيرة، وقدم لهم آدم تقريره فى حين راحت روبين تشرح لهم أماكن الاشياء الموجودة فى البيت.

وودعهما سكان الجزيرة وداعا مؤثرا، وقام أحدهم بوضع عقد من الزهور حول عنق روبين التى أخذت تضحك وتبكى فى آن واحد، وهى تعدهم بأن تبعث اليهم برسائل وأن تزورهم ان هى مرت يوما بالجزيرة وبدأ القارب يتحرك، وأخذت الأيدى الملوحة تختفى تدريجيا كما أخذت الفيلا ومحطة الأرصاد تتلاشيان شيئا فشيئا، وبدت ملامح غير واضحة للمنزل الذى عاشا فيه، واختفت ألزينا عن الانظار فى الأفق البعيد.

ووصلا الى سان فرانسيسكو بعد مضى أسبوع ولم يكن أمامها سوى ساعات قلائل لشراء بعض الحاجات والقيام بجولة سريعة فى المدينة لمشاهدة الجسر المشهور وميناء المدينة، قبل أن يحجزا تذكرتين للسفر مباشرة الى لندن.

وجلست روبين فى مقعدها فى الطائرة تحف بها السعادة والرضى... انها أخيرا عائدة الى الوطن بعدما عاشت ثلاثة أشهر فى جزيرة نائية.

سالت روبين آدم وهو يجلس الى جوارها اذا كانت أمه ستحبها، فقال لها انها ستحبها طبعا، وأنها ستكون فى انتظارهما فى المطار ان كانت البرقية التى أرسلها لها وصلتها. وراحت تتساءل عما سيكون وقع البرقية التى ارسلتها هى الى شقيقتها جولى تبلغها فيها

بقدومها. ربما يكون كارلنغ قد أنهى رحلته البحرية وأبلغ جولى بأن شقيقتها روبين فقدت.

وأخذت روبين تفكر فى حياتها الجديدة، وكيف ستستقبلها أمه وهل سترحب بزواجهما! وراحت الهواجس تتنازعها من جديد وتسائل نفسها اذا كان آدم يحبها فعلا، وبالدرجة التى تحبه هى بها، وكلما اقترب موعد وصول الطائرة كلما اشتدت ضربات قلبها اضطراباً وازداد توترها.

وعندما حلقت الطائرة فى أجواء لندن، وأخذت تحوم كالطائر الخرافى فى انتظار الاذن لها بالهبوط فى المطار، تحول توترها الى شعور بالخوف. فماذا يحدث لو أحس آدم بالندم لاقدامه بطيش وحماقة على هذا الزواج؟

١٠- التوأم

كانت والدة آدم تقف فى الجانب المضاد لكل آمال روبين. كانت سيدة ممشوقة القوام، وتنم ملامحها الأرستقراطية عن عمرها الحقيقى البالغ ستين عاما، ولكنها تنم بكل تأكيد عن الارادة وقوة الشخصية التى ورثها عنها ابنها، مثلما تكشف فى الوقت نفسه عن الميول الأستبدادية.

«هذا كلام فارغ.»

قالتها أم آدم، بعد تبادل التحيه، وهى تشير فى رفض الى السيارة التى وصل بها هارفى سيرل مدير أعمال آدم. وأضافت تقول:

«لا يمكنك أن تأخذ روبين مباشرة الى الشقة، فلم يتم اعداد أى

www.elromancia.com

شئ هناك، كما أنها ليست فى حالة تتيح لها الآن تنظيم الشقة التى ظلت مغلقة طوال ستة أشهر.»

وبرغم أن روبين كانت فعلا مجهدة من الرحلة، ابتسمت ابتسامة مهذبة متكلفة وقالت:

«هذا عطف شديد منك يا سيدة غرانت، ولكننى أستطيع ذلك، وقد اعتدت القيام بأعمال المنزل فى ألزينا وأنا واثقة أن الشقة ستصبح ضربا من الأحلام بعد قليل من التنظيم والتنظيف.»

ونظرت الى آدم وهى تتطلع الى تأييده لها، ولكنها وجدته مقطب الجبين وقال لها:

«انك فعلا مجهدة يا صغيرتى، وأعتقد أن أمى على حق.»

فقالت السيدة غرانت وهى تبتسم:

«نعم أنا على حق، فالصغيرة تكاد قدماها لاتقويان على حملها من شدة التعب... ولقد قمت بترتيب كل شئ، فعندما وصلتنى برقيتك اتصلت بالسيد جوزيف وفق طلبك، وسوف يحضر الى هنا غدا. ولهذا فان من الأفضل بكثير أن تسير الأمور طبقا للترتيب الموضوع.»

وتردد آدم لحظة ثم تنهد:

«وفى هذه الحالة سنضطر...»

وأضاف وهو يوجه كلامه الى هارفى سيرل وفى صوته مسحة من الغضب:

«سأراك يوم الاثنين وأناقش معك الأمور عندئذ، وأشكرك

لمجيئك، وآسف لأننى كبدتك مشقة الحضور بلا طائل.»

فابتسم هارفى قائلا:

أنا سعيد بعودتك فقط وبمقابلة عروسك الجميلة.»

وصافح روبين وهو يربت على يدها وكأنه يطمنها بعدما لاحظ حالة القلق التى تحاول اخفاءها، ودعاهما الى تناول طعام العشاء معه فى الاسبوع المقبل بعد أن يستقرا.

«بكل سرور.»

قالتها روبين وهى تبدى استحسانها لهذا الرجل المهذب الذى يختلف تماما عن الصورة التى تخيلتها لرجل الأعمال الذى يتصرف بطريقة رسمية جافة.

واستقل هارفى سيارته تاركا آدم وروبين يستقلان السيارة المرسيدس التى كانت السيدة غرانت تنتظرها بفارغ الصبر. وقادت جابى مشرفة البيت السيارة من المطار الى هامبشاير فى الطريق الى بيت السيدة غرانت وقطعت المسافة فى حوالى ساعة. ثم استراحت روبين عندما لاحظت عدم ميل السيدة غرانت للثرثرة ولكن مع وصولهم الى البيت أدركت أنه حان الوقت الذى يجرى استجوابها فيه. وقالت لها السيدة غرانت:

«ولد آدم هنا، ألم يخبرك بهذا؟»

واتجهت الى آدم قائلة:

«روبين معجبة ببيتك القديم، وأنا أفهم السبب الذى يحول دون اقامتك فيه مزيدا من الوقت.»

أهكذا! تنهدت روبين وهى تحاول أن تتجنب النظر الى السيدة غرانت التى أخذت تضغط شفتيها وتطلب منهما دخول المنزل. انها بداية لا تبشير بخير، وابتهلت روبين الى السماء ألاتستغرق تلك الزيارة سوى فترة قصيرة جدا.

وأثناء قيام آدم بانزال الحقائب من السيارة، قالت له السيدة غرانت انها أعدت لهما جناح الضيوف، ولكن اذا فضل هو الاقامة فى غرفته القديمة فان جانى يمكنها أن تعدها فى دقائق. فقال لها أن جناح الضيوف سيكون ملائما ورائعا، وعليها أن تعلم أنهما لن يمكثا هنا سوى يومين، لأن لديه أعمالا كثيرة عليه أن يؤديها، كما أن روبين لم تر أسرتها منذ شهور.

وقالت روبين وهى تحمل الفستان الأبيض البراق الذى أشتراه لها آدم مع أشياء أخرى فى سان فرانسيسكو أنها تريد الاتصال بشقيقتها جولى وتأمل أن تكون قد وصلتها البرقية.

وعندما اتصلت روبين بمنزل شقيقتها أبلغها زوجها تيرنس أن البرقية وصلت، لكن جولى غادرت البيت منذ يومين لقضاء فترة مع بعض الأصدقاء، ولن تعود الا فى وقت متأخر من مساء اليوم.

خرجت روبين من جناح الضيوف لتتجول فى أرجاء البيت، فلاحظت أنه يتسم بالفخامة والأبهة من حيث الأثلث والمفروشات والستائر، وأرشدها آدم الى مكان الحمام وغرفة الملابس.

واستلقى آدم فوق أحد الاسرة، فاقتربت منه وتمددت الى جواره، وطلب منها: ألا تبلغ أحدا بأنه قرر العودة لاستئناف حياته

الموسيقية الا عندما يطلب منها ذلك.

فسألته وهى تحرك رأسها نحوه بسرعة:

«ولا أبلغ أمك أيضا؟»

«نعم، حتى أمى لا تبلغيها... وأعلمى أننى أحب أمى و أحترمها، ولكن هذه المسألة أريد تسويتها بنفسى.»

«ولكنها سوف تستاء عندما تعرف الحقيقة.»

«سوف تعرف قريبا جدا، وستكون أول من يعرف باستثناء هارفى الذى لايمكننى أن أكتم عنه هذا الخبر- وسوف يسعدها هذا كثيرا.»

وجذب نفسا من سيجارته وأضاف قوله:

«من الصعب جدا يا روبين أن يتجنب الانسان ايذاء من يحبونه، فالحب سلاح فى يد المرء جاهز داما للاستخدام عندما يصبح الحب مهددا بأن يتحول الى عملية تملك تخطت حدودها وهو ما يضطرنى لأن أقول لك شيئا كان يجب على أن أقوله من قبل...»

وسمعا فجأة طرقا على الباب، وكانت جانى تبلغ السيدة غرانت، وهى تقصد بذلك روبين، بأن مكالمة تنتظرها.

وانطلق صوت جولى على الخط باضطراب وهى تقول لها انها لو كانت فى البيت وقت وصول البرقية لاندفعت الى المطار لاستقبالها. وقالت لها انها ظنت أنها لقيت مصرعها أثناء احدى الثورات التى تنفجر فى أمريكا الاتينية كل خمس دقائق على ما يبدو!

ومضت جولى تقول لشقيقتها:

«أين أنت الآن؟ وكيف يمكن لى أن أدراك؟ اننى لا أكاد أصدق وهل قابلته على ظهر يخت كارلنغ؟»

وبدا القلق الشديد فى صوتها وهى تسألها:

«ألم تتعرضى لأى أذى أو لعملية احتيال على ظهر اليخت؟»

فردت عليها روبين بقولها:

«انك تبدين كالأم التى تساورها الشكوك... كيف حال زوجك تيرى؟»

فردت عليها جولى بلهجة مفعمة بالتقزز و الاستياء:

«انه عابس كعادته أنصحك ألا تثقى بأى رجل، ولكن فات أوان هذه النصيحة.. تذكرت أن لك خطاباً وصل الينا منذ شهرين وهو مرسل من المحامين المختصين بقضايا أبينا، اتصلنا بهم وأبلغناهم بغيبتك فطلبوا أن تتصلى بهم عندما تعودين.»

وتملك روبين الحزن لذكرى أبيها الحبيب الى نفسها، وانتهت المكالمة وذهبت لتناول طعام العشاء، وكانت مأدبة باردة تسودها الرسميات والتوجيهات من جانب السيدة غرانت حول قواعد الأدب والسلوك، حتى ان روبين تنفست الصعداء عندما عادت الى غرفتهما من جديد.

انها تعلم الآن أن السيدة غرانت أغلقت قلبها تجاهها، وأنه ليس أمامها سوى أن تقبل العلاقة الجديدة بسلوك مهذب وان يكن مشوبا بالقلق والتوتر.

وعندما رأت السيدة غرانت تدخل حاملة باقة من الزهور قامت بجمعها من الحديقة، وقالت لروبين فى برود عندما رأتها، انها جاءت فى الموعد المناسب لتناول القهوة، ونظرت الى ساعتها وأبلغتها بأن موعد الأفطار فاتها، وأنهم سيتناولون طعام الغذاء بعد أقل من ساعة، فردت عليها روبين قائلة:

«لا أريد تناول أى طعام، فلست جائعة. أين آدم؟»

«ذهب الى المدينه، ألم يبلغك ليلة أمس؟ سيعود فى موعد تناول الشاى.»

قالتها وهى تلحظ احساس روبين بالاحباط، ورغم هذا لم تغير طريقتها الباردة فى الحديث، فردت عليها روبين قائلة:

«وقت الشاى، لماذا لم يوقظنى أحد؟ كان يجب أن أذهب معه.»

وطلبت منها السيدة غرانت أن تتبعها الى غرفة الجلوس، المطلة على المروج الخضراء، لتناول القهوة التى أوشكت أن تبرد. وأبلغت روبين بأن آدم ذهب لتصريف شؤونه بسرعة وانتقاء سيارة لنفسه. وسألتها اذا كان آدم أبلغها بالحادث الذى تعرض له وحدثها عن ستيللا. فقالت روبين:

«أعرف كل شئ عن ستيللا والحادث وأعرف من الذى فسخ الخطبة.»

وسادت فترة صمت ولمعت عينا السيدة غرانت ببريق غريب وهى تقول:

«لم تكن هناك قوة فى الارض تستطيع منع وقوع هذا الحادث الذى حطم قلب ستيللا لما له من تأثير على مهنة آدم. ستيلا ابنة أعز أصدقائى وسوف يتاح لك يوما أن تلتقى بها أنت وآدم.

لانستطيع ببساطة أن نخرجها من حياتنا لمجرد أن الزواج الذى كنا نتمناه جميعا لم يتم. ولهذاأرجو منك أن تحاولى عندما تلتقين بها، أن تجنبيها الشعور بالألم والحرج.»

«نعم، بطبيعة الحال.»

قالتها روبين وهى مستاءة وفى جسمها رعدة وهى تحس بأن الفتاة التى كانت مجرد اسم أصبحت شبحا يطاردها فى الحياة.

وعندما سألتها السيدة غرانت عن هدية الزواج التى تفضل أن تقدمها اليها، احرجت روبين ثم قالت لها ان أى هدية من اختيارها ستكون مناسبة.

وصحبها آدم صباح يوم الأثنين الى المدينة فى سيارته الجديدة. ولاذت بالصمت وهى فى حيرة اذا كان آدم تغير خلال تلك الأيام الثلاثة منذ عودتهما، أم أنها تتخيل هذا.

التقى آدم مع السير جوزيف، الذى وصل بعد قليل من عودة آدم وقد أعد جهازا للعرض وشاشة صغيرة لمشاهدة الأفلام التى سجلها آدم فى ملجأ الطيور فى ألزينا، وأخذا يتناقشان لبعض الوقت حول التقارير التى سجلها آدم.

ووصلت السيارة الى الفيلا التى سيقيمان فيها، فنزلا من السيارة وسبقها آدم وفتح الباب ونادى عليها كى تتفقد الشقة قبل حمل الحقائب الى الداخل، انها فسيحة وتحتل الطابق الأرضى كله بالفيلا، ومزودة بمطبخ حديث، وغرفة الطعام تطل على الحديقة. وسألته عن غرفته الموسيقية فصحبها اليها لتجدها تحتل نصف

مساحة الطابق الارضى كله، ولاتغطى أرضيتها أية أبسطة، كما تخلو جدرانها المطلية باللون الأزرق من أى نقوش أو لوحات.

ولاحظت وجود اثنين من أجهزة البيانو، وعندما سألته فى دهشة عن السبب أجابها بأنهما يستخدمان فى عزف القطع التى تؤدى على التى البيانو فى وقت واحد ويقوم بالعزف عليهما هو وزميل له معا.

وطلب منها أن تستدعى الأخصائى الفنى الذى يقوم بضبط النغم فى أجهزة البيانو وهو بولندى الجنسية ويدعى جان فانيسكى وراحت تبحث عن مفكرة أرقام الهاتف بعدما ترددت فى فتح الأدراج الخاصة به ولكنه شجعها على ذلك فليست لديه أسرار، ولكنها لم تتمكن من العثور عليها.

أبلغها بأنه سيودع بعض المال لمصروفها الشخصى فى المصرف، ولما قالت له انها ليس لها حساب فى أى من المصارف قال أنه سيفتح لها حسابا، وأعطاها بعض النقود للانفاق فقبلتها بعد تردد. وراحت تردد لنفسها احدى الأغنيات وهى تعد العشاء الخاص الذى سيتناولانه الليلة فى مناسبة أول يوم يقضيانه فى مسكنهما الخاص.

وعثرت أخيرا على مفكرة أرقام الهاتف، وما أن أمسكت بها حتى فوجئت بصورة تسقط منها، انها صورة ستيللا الجميلة التى تشبه روبين نفسها الى حد يدعو الى الدهشة الشديدة، كما لو كانت توأما لها.

١١- العودة إلى الصواب

ومنذ ذاك الوقت أصبح لستيللا وجود فى حياة روبين التى أخذت تذبل، واحساسها بالوحدة يزيدها مرارة. وكان آدم يبعد عنها لفترات طويلة يوميا بعدما تحدد يوم السابع من سبتمبر/ايلول، أى بعد ثلاثة اسابيع، موعدا لعودته الى احياء الحفلات الموسيقية، وأصبحت أعصابه متوترة خلال فترة التدريب المكثف، وراح يثور فى وجه كل من يقاطعه حتى روبين نفسها.

ولم تجد روبين أمامها سوى الانصراف لشؤونها المنزليه، الى أن عثرت فى أحد الأيام على معطف واق من المطر فى خزانة بالبيت، وعندما استفسرت من آدم عن هذا المعطف أبلغها بأنه معطف

ستيللا، التى كانت تحضر الى هذا المكان فى مارس/ آذار الماضى، ويبدو أنها نسيته.

وجاءت جولى ذات يوم لزيارة شقيقتها الصغرى روبين وبعد تبادل التحية بحرارة سألتها عن آدم فأبلغتها بأنه يتمرن على العزف وجلسا سويا لتناول الشاى، وسألتها جولى عن أمر الرسالة التى وصلتها من المحامين، فقالت انها تتعلق بالفيلا التى اشترها والدهما فى جزيرة أيغينا فى اليونان وأنها مازالت ملكا لهما. فدهشت جولى لأنها كانت تعتقد أن أباها باع الفيلا بعد وفاة أمهما. فقالت لها روبين انه لم يبعها وانما سجلها باسمها، أى باسم روبين بدون أن يبلغها أو يبلغ أحد بذلك. وكان قد أجرها لأسر ألمانية تركتها بعد فترة وبعد ايداع قيمة الاجار فى البنك باسم روبين.

واشارت جولى الى أن الأب أراد بذلك أن يؤمن لروبين مصدرا للعيش، لأنه كان يعلم أن حياة جولى مؤمنة لأنها متزوجة، واقترحت عليها أن تحتفظ بالفيلا كمكان لقضاء العطلات و الاستجمام، فوافقتها.

وحضر هارفى الى البيت قبل موعد الحفل الموسيقى بيومين، حينما كان آدم منهمكا تماما فى الاستعداد للحفل، وقدم له عشر تذاكر وطلب آدم من روبين توزيع ثمان منها على من تعرفهم، ولكنه احتفظ بالتذكرتين الأخريين، مما جعل الهواجس والشكوك تملأ نفس روبين التى توقعت أن يهدى التذكرتين لستيللا. ولكنها طمأنت نفسها أنه ربما أراد أن يثبت لستيللا بذلك أنه صفح عنها وهو فى لحظة الانتصار التى يسترد فيها مجده، ولكن كان أجدر به أن

يبلغها بذلك بدلا من ترك الأمر محاطا بالاسرار.

وحاولت روبين أن تسرى عنه وتقنعه بالخروج فى نزهة بالسيارة حتى يستريح، أو أن يمضى وقتا مريحا هذه الليلة لأنه سيكون مشغولا غدا، ولكنه استشاط غضبا وقال لها:

«يجب أن أكرس كل لحظة للاستعداد لهذا الحفل الهذا الحفل الذى يتوقف عليه مستقبلى كله، فسوف يحضره كل النقاد الموسيقيين الذين سيجلسون كالصقور.»

«لن يكون الأمر هكذا، فهم يعرفون ظروف الحادث الذى تعرضت له، أليست عندك أى ثقة بالطبيعة البشرية؟»

«أتعتقدين أنهم سيترفقون بى بسبب ظروفى القديمة أيتها الحمقاء الصغيرة؟ وهل سأقبل أى نوع من العطف منهم؟ ان العطف هو أكثر شئ يثيرنى.»

وخرج آدم من الغرفة وأدركت روبين بعد فوات الوقت أنها ما كان يجب أن تفتح هذه المناقشة، وحاول هارفى أن يهدئ من روعها فى حين أخذت دموعها تنهمر وهى تقول انها لم تكن تقصد اطلاقا المعنى الذى فهمه آدم، فطلب منها هارفى أن تتحلى بمزيد من الصبر، وأن تكون أكثر تفهما له، فهذا هو واجب الزوجات فى تعلملهن مع مثل هذا النوع من الرجال الفنانين وطمأنها أن آدم سيعود الى طبيعته بعد انتهاء الحفل الموسيقى...

وفى اليوم المنتظر فضلت السيدة غرانت أللا تحضر الى الفيلا وأن تقابل آدم فى قاعة الحفل الموسيقى، وهو ما بعث فى نفس

روبين الشعور بالارتياح لأنها أرادت الانفراد بآدم فى تلك القصيرة المتبقية قبل بدء الحفل لكى تبثه كلمات الحب والتشجيع وتمنياتها له بالنجاح...

كان آدم غاية فى الجدية والصرامة وهو يغادر غرفة النوم، ووقفت روبين تنتظره خارج الغرفة وقد تملكها احساس بأن الرجل الذى أحبته فى ألزينا ضاع منها... ذلك الرجل الذى كان يمرح معها سجيته ويداعب الطير ويعنى به ويطعمه...

كانت القاعة مزدحمة بالآف الأشخاص وتتلألأ فيها المجوهرات الثمينة، وتفوح منها روائح مختلف أنواع العطور. وكانت روبين تتخذ مقعدها بجوار السيدة غرانت التى سألتها اذا كان آدم قد بعث بتذكرة الى ستيللا، فأجابتها روبين بأنها تعتقد ذلك، وأضافت السيدة غرانت قولها:

«انك تدركين أن هذا موقف محرج لآدم، وسوف تعرفين آخر الأمر بوجود ستيللا خاصة وأنها عادت الى الوطن من جديد و...»

ولاذت السيدة غرانت بالصمت عندما نبهها أحدهم الى أحدهم الى أن الحفل على وشك أن يبدأ.

وفى تلك اللحظة بدأت روبين تشعر بالكراهية نحو أم آدم، فما الذى دفعها الى ذكر اسم ستيللا فى هذه المناسبة الخاصة؟ أليست ستيللا هى السبب فيما أصاب آدم؟ وما الذى كان يحدث لو لم تحصل ستيللا على تذكرة؟

لم تكن ستيللا هى التى أعادت آدم الى حياته الموسيقية ومجده،

ولكنها هى التى أعادته. وعندما ظهر آدم على المسرح قوبل بعاصفة من التصفيق والترحيب، فرد على تحية الحاضرين، ثم بدأ يعزف ألحانا لشوبان وشومان وأخذ يتطرق الى القطع الموسيقية الصعبة فيؤديها بكفاءة و اقتدار العازفين العظام المتمكنين من فنهم.

ولم تتمالك روبين نفسها فاغرورقت عيناها بالدموع وراحت تشق طريقها بصعوبة الى خلف كواليس المسرح لكى ترى آدم، وفى الاحظة التى وصلت اليه فيها ظهرت السيدة غرانت وبصحبتها سير جوزيف وفتاة ترتدى زيا متألقا زاهيا، واندفعت تلك الفتاة نحو آدم تحيه وتهنئه وصحبها معه الى غرفته.

انهارت روبين وراحت تهذى وهى ترى ستيللا قد عادت، وآدم مازال يحبها. ولم يعد أمامها الآن سوى أن تهرب من الناس والأنظار معا وتبحث لها عن مكان آخر حيث... وأصيبت باغماء ولم يعد بمقدورها حضور حفل الموسيقى. وصحبتها السيدة غرانت فى برود وفتور الى السيارة التى انطلقت بهما، وبرفقتهما جانى، فى طريق العودة الى منزل السيدة غرانت.

ورغم أن الشوارع كانت ساطعة بانوارها فان روبين تخيلتها مظلمة، وراحت تهذى، مما جعل السيدة غرانت تطلب من جانى استدعاء أى طبيب وقالت انها ستصبح على ما يرام، وأن ما حدث كان بسبب عدم تناولها أى تناولها أى طعام طوال اليوم، وبسبب الحر الشديد داخل القاعة.

وقدمت لها جانى كوبا من اللبن وبعض البسكويت وقرصا مهدئا

ليساعدها على النوم، وظلت قلقة تتوقع حضوره ليبدد ما بها من هواجس، ولكنه لم يحضر. ومع أول خيط للنهار نهضت من سريرها تبحث عنه وهى تتصور أنه حضر أثناء نومها ولم يشأ ازعاجها، ولكنها تيقنت أنه لم يحضر، فانهارت باكية، وأدركت أنه لم يعبأ بها رغم أنها صارت حاملا منه!

وقامت جانى بتهدئتها، وأعدت لها فنجانا من الشاى، وقدمت لها صحف الصباح، وكلها تتحدث فى اعجاب عن حفل الأمس، وتقول فى عناوينها الرئيسية ان أداء آدم بالامس كان أروع من ذى قبل، وهو ما جعل روبين تشعر بالفخر، وأبلغتها جانى بأن العروض بدأت ترد لآدم من الخارج لكى يقوم بجولة فى الولايات المتحدة، ويعزف فى مهرجان شوبان فى وارسو فى أكتوبر/تشرين اول المقبل.

ونهضت لتغسل وجهها وهى تتذكر ما قاله لها آدم عندما عرض عليها الزواج:

«انك فى حاجة الى شخص يرعاك... الى أن نعود الى انجلترا، وبعد ذلك... سنبحث هذا الأمر عندما يحين وقته.»

وتملكتها حالة من القنوط الشديد وهى تقول لنفسها: «لقد حانت تلك اللحظة». وخرجت الى القاعة تتصل بشقيقتها جولى وتبثها أحزانها ففوجئت بالمعطف الواقى من لمطر الذى وجدته من قبل فى الفيلا ملقى باهمال فوق أحد المقاعد، وسمعت السيدة غرانت تتحدث مع شخص آخر فى غرفة الجلوس وتقول:

«لماذا فعلت ذلك يا عزيزتى؟ أعلم أنه غير سعيد وانا واثقة لو

أنك كنت... لما كان قد تزوج بها. أتعرفين من هى؟ انها ابنة روبرت واين رجل المال الذى تخلص من حياته. لم أعرف كل تفاصيل هذا الزواج ولكننى فهمت أنه أنقذها من ورطة وقعت فيها مع جيرالد كارلنغ، وهو رجل كريه جدا، وكلما رأيتها أو سمعت حديثا عنها كلما ازددت اقتناعا بأنها ليست سوى مغامرة صغيرة رخيصة.»

وتراجعت روبين فى ذعر، بعدما أدركت مدى ما تنطوى عليه نفس أم آدم من شر لم تكن تظن أنها تخفيه وراء مظهرها البارد المتعجرف، ولم تنتظر لتسمع المزيد من حديثها وأسرعت عائدة الى غرفتها، وجمعت أشياءها القليلة وانطلقت خارج البيت، تستقل سيارة أتوبيس اتجهت بها الى منزل جولى، التى حاولت تهدئتها وقالت لها انها ستحاول الاتصال بآدم ليحضر ويأخذها وتنتهى الأزمة، ولكن روبين أبلغتها بأن الوقت قد فات، لأنها تركت له رسالة تبلغه فيها بأنها ابتعدت عنه بعض الوقت لتتدبير الأمر وأن عليه ألايقلق.

فقالت لها جولى:

«الكلمات التى سمعتها من آدم لم يقلها لك آدم نفسه، وأنت لم تتزوجى أمه التى تنتمى الى القرن الماضى. انك حامل وهذا يجعلك حساسة وعاطفية جدا.»

«نعم، ولهذا فاننى يجب أن أبتعد عن آدم لئلا أسبب له قلقا، وحتى يتفرغ للبيانو وللجولات فى الخارج واحياء الحفلات الموسيقية، انه ليس فى حاجة الى أو لأى شخص آخر الآن، وآخر شئ يريده هو طفل يبكى و... و...»

وقاومت دموعها التى كادت تنهمر وأضافت وهى فى غمرة الانفعال:

«لايمكننى البقاء فى مكان أكون فيه مرغوبة أو غير محبوبة!»

استقلوا جميعا الطائرة الى أثينا- ولاذت روبين بالصمت أهو حلم مفزع هذا الذى يحدث؟ أهى حقا متجهة الى اليونان تاركة آدم وراءها فى لندن؟ أخفت عن آدم أنها حامل، وقررت الاحتفاظ بالسر الى ما بعد الانتهاء من اقامة الحفل الموسيقى.

ولم تنم روبين الآ قليلا فى الفندق الصغير فى أثينا قبل انتقالهم الى الفيللا التى تملكها روبين الآن فى جزيرة أيغينا، وأثناء الرحلة الى الجزيرة أخذت روبين وجولى تتبادلان الحديث عن ذكرياتهما الحلوة فى تلك الجزيرة.

وفى اليوم الخامس، وبعد تناول طعام العشاء خرجوا للتنزه فى حديقة الفيلا، ودار حوار عنيف بين روبين وجولى التى كانت تحاول جعل روبين تتراجع عن اصرارها على البقاء فى الجزيرة، فلا يمكنها أن تتركها هنا وحدها وقالت لها:

«لابد أن يحاول أحد الناس ارجاعك الى الصواب!»

وسمعتا صوتا يقول فى برود:

«وأنا أوافق على هذا تماما.»

ووسط ذهولهما تلفتتا حولهما فاذا بآدم واقف أمامها!

١٢- وعاد الحب

وتقدم آدم ليجلس الى جوار روبين ويقول لها بعينين تفيضان بالحزن:

«جعلتنى أقوم بمطاردة لطيفة.»

«وكيف جئت انت، فى الطائرة ثم فى المركب.»

وحكى لها كيف علم من جانى بما حدث، ومدى المتاعب الشديدة التى واجهته لمعرفة المكان الذى اتجهت اليه، وعندما لاحظ أنها ترد عليه بجفاف واقتضاب سألها:

«روبين... هل انتهى حبك لى؟»

«وهل هذا يهم؟»

«وهل نسيت أنك زوجتى... حسنا... قبل أن أنصرف أريدك أن تقولى لى أنك لا تريدينني ولن أزعجك بعد ذلك، ولكننى أريد أن أسمعك تقولين هذا قبل أن أخرج من حياتك مثلما خرجت أنت، على ما يبدو، من حياتى.»

وأخذ قلبها يخفق بشدة وهى ترتجف وقالت هامسة:

«كلا... كلا... لا أستطيع... أوه... آدم!»

«أوه... حبيبتى.»

وتدفقت عواطفها وهى تهمس له بأحاسيس الشوق واللوعة.

وراحت تسأله اذا كان يحبها، فأكد لها مدى حبه الشديد لها، وأنه اعتقد أنها تدرك هذا منذ اقتحمت قلبه ذات مساء، وعلمته مدى ما يحققه الايمان والحب من معجزات، وأنه بدون وجودها وكل هذا الحب والايمان والتفاهم لما أمكنه أن يعزف من جديد.

وسألته قائلة:

«قل لى بصراحة: هل أنا بديل باهت لستيللا؟»

فنظر اليها صامتا لحظات ثم ابتسم وقال:

«كنت أعتقد أننى أحب ستيلا، فقد عرفنا بعضنا، وكانت الصداقة تجمع بين عائلتينا... ولكن من الغريب أننى بدأت أحبها

عندما وصلتنى رسالتها، وكانت تلك الحالة من المرارة التى وجدتنى عليها فى ألزينا.»

«اعتقدت أنك مازلت تحبها حبا شديدا»

«كلا، أرجو أن تكونى عادلة، كان الموقف مشحونا بالعواطف، فقد حققت عودة ناجحة لحياتى الموسيقية، ورفعت عن كاهلها الاحساس بالذنب الذى كانت تعانى منه، وقد عثرت لنفسها أيضا على خطيب جديد.»

ثم سألها قائلا:

«هل صحيح أنك أصبت باغماء ليلة الحفل لأنك...»

«نعم، ولكننى لم أشأ ابلاغك الا بعد زيارة الطبيب الذى أكد لى ذلك.»

فاعتذر لها لأنه كان فظا، وأنه أهملها خلال الأسابيع التى سبقت الحفل ولكنه قال لها انه سيعوضها عن هذا كله. وطلب منها أن تصفح عن أمه بسبب ما تفوهت به من كلام عنها، وقال لها انه لم يكن يعلم أن أمه بمثل القسوة والقلب المتحجر. فقالت له انه لا أهمية لذلك الآن، فكل الأمهات يعتقدن أن لديهن معرفة أفضل بالأمور التى تتعلق بأبنائهن وبناتهن.

وأبلغته بأن الوساوس ملأت رأسها عندما اتصلت به فى الفيلا الصباح التالى للحفل ولم تجده، واعتقدت أنه لم يعد يعبأ بها، وظنت أن زواجهما الذى تم فى ألزينا لم يكن زواجا صحيحا، فقال لها انه

زواجا صحيحا ولكنه مستعد برغم ذلك لأن يعقد زواجه من جديد فى لندن ان كان هذا ما يقلقها، أما بالنسبه الى هذه الليلة فقد قضاها فى منزل هارفى الذى دعاه للمبيت عنده لأنه لم يكن يستطيع النوم فى الفيلا اذ لم يحتمل أن يراها خالية منها، ومضى يقول:

«وعندما اتصلت ببيت أمى أبلغتنى بأنها تعتنى بك وأنه لا داعى لازعاجك وايقاظك، كما أنه لا داعى لمجيئى اليك، وقد كنت غبيا عندما صدقتها.»

وأطرقت قليلا ثم قالت له:

«آدم، ألن يضايقك انجابى طفلا؟»

«يا الهى... وكيف يضايقنى هذا أروع شئ فى حياتنا. هيا انهضى.»

وكان قلقه عليها واهتمامه الشديد بها، يتبين فى كل نبرة من نبرات صوته وكل حركة من حركاته، مما أعاد اليها الاحساس بالاطمئنان الذى كانت تتوق اليه، وبدأت تضحك وهى تقول له:

«السماء لم تمطر نقطة ماء واحدة منذ مجيئنا.»

قال لها فى حزم:

«لن ندع الامور تسير كيفما اتفق بعد الآن، من الآن فصاعداً لن أدعك تبتعدين عن عينى لحظة واحدة.»

ورفعها فى رقة بالغة كما لو كان يرفع شيئا ثمينا قابلا للكسر، وسألته هامسة وهما فى طريقهما الى الفيلا:

«هذا شئ لطيف طبعا، ولكن قل لى كيف ستبقينى أمام ناظريك كل لحظة، وتقوم بجولاتك فى أنحاء العالم فى الوقت نفسه؟»

«سآخذك معى طبعا، وعندما تضعين طفلنا، سأرتب الأمور فأخصص فترات راحة من رحلات العمل التى تستغرق منى وقتا طويلا، ونأتى الى ايغينا حيث نمضى أحلى شهر عسل فى حياتنا.»

وتوقف وهما على وشك دخول الفيلا، ونظر الى وجهها المشرق بعينين يشع منهما الحنان والحب وقال لها:

«لابد أن تكون عندكم هنا غرفة احتياطية للأزواج الرحل الذين ضلوا طريقهم؟ فأنا لاأميل لقضاء الليلة فى فندق.»

فاقتربت منه فى مودة وهى تقول له:

«أنت سعيد الحظ أيها الحبيب الرحالة الذى ضل الطريق، هنا غرفة احتياطية، ان كنت راغبا حقا فى قضاء الليلة هنا.»

ولكن الغرفة الاحتياطية كانت مكدسة بمتاع البيت، وبالسلالم المتحركة وصابون الغسيل... مسكينة جولى... اضطرت الى قضاء الليل كيفما اتفق وهى تحاول أن تتظاهر، بدون جدوى، بأنها مستغرقة فى نوم عميق!